الدكتور قسطنطين زريق

بقلم سامي الكيالي

* * *

من رجال الفكر المرموقين في العالم العربي . ولد في دمشق في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٩ فما كاد يترعرع ويتم دراسته الابتدائية ثم الثانوية في مدرسة التجهيز الارثوذكسية حتى انتقل الى الجامعة الامريكية في بيروت فانتسب الى كليـة الاداب والعلوم وظل اربعة اعوام يدرس في ذلك الجو الجامعي من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٢٨ ، وحيـن ظفر بشـهادة البكالوريوس في الاداب سافر الى شيكاغو فانتسب الى جامعتها ونال في سنة ١٩٢٩ درجة استاذ في الاداب . ومنها الى جامعة برنستون فمنح سنة ١٩٣٠ درجة دكتوراه فـي الفلسفـة .

ولم يكد يرجع الى وطنه بعـد ان استوفـى دراسته الجامعية حتى دعي للتعليم في الجامعة الامريكية في بيروت حيث نيط به تدريس مادة التاريخ .

وظل يدرس هذه المادة من سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٤٥ فعاش خلال هذه الفترة حياة الجامعيين يستهويهم البحث المجرد عن الهوى والذي يطمئن النزعة العلمية الخالصة.

مادة التاريخ الذي نيط به تدريسها جعلته ، الى دراسة تاريخ الامم ، ان يدرس تاريخ الامة العربية ـ عوامـل نهوضها وبواعث انهيارهـا وثباتها المحيرة للعقول ، ثـم ركودها وجمود تفكيرها، ما ابدعته من تراث حي للانسانية، وما تركه الطغاة في ربوعها وممالكها من اشلاء ودماء ومن تدميـر وخراب ..

وقد خرج من دراساته بآراء حصيفة تترقرق واضحة في مختلف مقالاته ومحاضراته .. وهي مقالات ومحاضرات جمعت سنة ١٩٣٩ في كتاب بعنوان « الوعي القومي » وقد عرض فيه الوسائل التي تعزز نهضتنا القومية فراى انها لا تستكمل شروطها وتؤتي ثمارها الا اذا نهجـت ثلاثـة مناهـج :

الاول : بناء الاساس الفكري الذي تقوم عليه نهضتنـا القومية ، اي بدرس غاياتها ووسائلها وتحديد معنى الامة والقومية ، واثبات خصائص الامة العربيـة ومميزاتها ، واظهار مقامها الفريد بين الامم ، والنصيب الذي كان لها في الماضي والذي يرجى لها في المستقبل في تقدم التمدن والحضارة البشرية ، او بكلمة اخرى ، انشاء « فلسفـة قومية » شاملة واضحة منتظمة .

الثاني : ان تعصر هذه الفلسفة في فكرة مقطرة ، نقية، صافية ، يتشربها ابناء الامة ، وتتحد بعاطفتهم المتوثبـة وشعورهم الفياض ، فيحصل من هذا المزيج المبارك «عقيدة قومية » ، واخيرا يتخذ العاملون في الحقل القومي .

الخطوة الثالثة : فيجاهدون لتنظيم الامة العربية وضبط نوازعها واخضاع شهواتها للارادة الوحيدة المنبثقة مـن « العقيدة الواحدة » .

على هذه الاركان الثلاثة : الفلسفة القومية ، والعقيـدة القومية ، والتنظيم القومي ــ تقوم كل نهضة صحيحة ، واليها يجب ان يوجه العرب جهودهم فـي هـذا الدور التأسيسي من حياتهم الجديدة .

في نطاق هذه المناهج واطاراتها الواسعة المـدى كتب كثيرا عن الامة العربية ــ عن ماضيها وحاضرها المحفوف بالمكاره ، موجها الجيل الجديد توجيها قوميـا يرتكز على اسس علمية وفلسفة واقعية لبناء مستقبل مشرق .

والى اعماله الدراسية كان وما يزال وافر النشاط في اعتلاء منابر النوادي والجمعيات يحاضر في القضايا التي تواجه العرب في مشاكلهم . وهو شديد الحرص علـى تأريخ مظاهر الوعي القومي . اريد مراحـل تطـور الامة العربية منذ بداية القرن الثامن عشر الى يومنا هذا ، ولا سيما في هذه الفترات التي اعقبت الحرب العالمية الثانية.

ولارائه صداها القوي في الاوساط الثقافية لانها صادرة عن انسان حر الفكر ، يريد لامته ان لا تكـون مغمضـة العينين في مواجهة الواقع ، وان تسير على اسس صحيحة وقواعد سليمة لئلا تتعثر وتقع في المزالق .

من الوسط العلمي الى المحيط الدبلوماسي : فحين جلا الافرنسيون عن سورية وتألفت حكومة وطنيـة اختيـر الدكتور زريق مستشارا اول للمفوضية السورية فـي واشنطن ، فترك عمله الجامعي للقيام بمهمة وطنية ، وقد اعطى الامريكيين وغير الامريكيين اجمل صورة عن مواهب السوريين حين يمارسون تبعات الاستقلال ولا سيما حين مثل سورية في هيئة الامم المتحدة وفـي مجلس الامن مندوبا مناوبا خلال سنتي ١٩٤٦ ــ ١٩٤٧ .

من البيئة العلمية يبحث في دياميس القرون الغابـرة عن حقائق التاريخ المسربلة بالحكايات والقصص والاساطير الى اروقة هيئة الامم وملتويات السياسة التي قد تبطن غير ما تظهر .. وقد تظهر غير ما تبطن !

*** كانت الادارة الثقافية في الجامعة العربية كلفت الاستاذ سامـي الكيالي بوضع كتاب عن «الادب العربي المعاصر في سورية » وقد صدر الكتاب منذ بضع سنوات . واذ حددت صفحاته آنئذ من الادارة الثقافية فقد شعر ان كثيرا من الادباء والشعراء والمفكرين لم يؤرخ لهم فعكـف على استدراك هذا النقص بتأريخ سير ادباء الشباب والكهول ومن فاته من ادباء الشيوخ ..وبذلك سيكون الكتاب بجزئيه من اوثق المصادر عن الحركة الفكرية المعاصرة في سورية .**

واذ يعتبر الدكتور قسطنطين زريق من ابناء سورية البررة فقد رسم له هذه الصورة عن نشأته ومراحل حياته الفكرية . « الاديب »

لا شك ان هذه الفترة التي قضاها في ذلك الجو السياسي المحموم تارة ، والهادىء هدوءا مشوبا بالانفجار تارةاخرى قد افادته كمفكر مادته الاساسية تدريس التاريخ ..

وكانت هيئة الامم وما تزال مسرحا لشتى التيارات والمذاهب المصطرعة حول مصير الامم ، ـ ولا سيما الصغيرة منها الخاضعة لسيطرة الامم المستقرة .. نعم ، لقد افادته هذه التيارات المصطرعة التي توقظ ضمير اي مؤرخ وهو يقرأ صفحات الماضي فتجعله كثير الحذر والحيطة ، فلا ينساق مع الاهواء ، ويجعل للواقع ، وللحقيقة نصيبهما الاوفى من الدرس والبحث .

ولم تطل اقامته في السلك الدبلوماسي فقد عاد الى جوه الجامعي حيث عين نائبا لرئيس الجامعة الامريكية في بيروت ، الى احتفاظه باستاذية التاريخ .

وكان منصب رئاسة الجامعة الامريكية لا يشغله غير الامريكيين فدل اختياره لهذا المنصب الرفيع ، على الثقة التي يتمتع بها ، وقد برهن خلال هذه الفترة ، على كفاءة ممتازة جعلت الامريكيين يقدرونها كل التقدير .

وحين فكرت الجمهورية السورية تنظيم جامعتها على اسس ومناهج صحيحة استدعته وعينته رئيسا لها فاستلم مقدراتها سنة ١٩٤٩ وظل يدير شؤونها حتى سنة ١٩٥٢ استطاع خلال هذه الفترة القصيرة ان يغير الكثير من المناهج وان يسير بها خطوات سليمة. ثم عاد الى «الجامعة الامريكية» ليتولى رئاستها بالوكالة فشغلته الشؤون الادارية عن البحث العلمي . وما كاد يطل عام ١٩٥٧ حتى عاد الى الناحية التي اجتذبته وتخصص فيها وهي دراسة التاريخ ، يقرأ ويكتب ويحاضر وينشر ابحاثه ودراساته في المجلات العربية والاجنبية فأصدر ـ خلال هذه الفترات ـ بعد كتابه « الوعي القومي » كتاب « معنى النكبة » حلل فيه تحليلا بسيكولوجيا عوامل نكبة فلسطين فراج رواجا كبيرا وطبع اكثر من مرة . كما نقل الى اللغة الانكليزية بقلم الاستاذ بيلي رانيدر . كما اصدر كتاب « أي غد » . وهو مجموعة عدة ابحاث تدور حول تبعات المفكر العربي والمجتمع التقدمي وموقف العرب من الثقافة الحديثة ، الى خطوط واضحة نحو ثقافة عربية افضل ، تنبثق من صميم الشعب وتتجاوب مع حاجات المجتمع وتقوم على احترام الحقيقة ـ ثقافة متأصلة في ماضيها الايجابي ، مشاركة في الحضارة والانسانية ـ بهذا النوع من الثقافة الحية الفعالة ـ يقول الدكتور زريق ـ يتكون المجتمع العربي الفعال ، المجتمع العربي القادر على البقاء ، الباقي فعلا في الارث الانساني المشترك ـ المجتمع العربي الافضل ...

ولم يهدأ نشاطه العلمي فلا يمر عام او عامان الا وتتجمع لديه الكثير من مقالاته ومحاضراته ودروسه فينتظمها كتاب لا تنأى بحوثه عن الواقع العربي على ضوء التطورات العالمية ، ومدى الابعاد التي تفصلنا عن هذه التطورات ، فيغمز ويلمز ، ويوضح ويصرح ، ويضع النقاط على الحروف ، وتتضح اراؤه اكثر فأكثر في كتبه الثلاثة : « نحن والتاريخ » و « في هذا العصر المتفجر » و « في معركة الحضارة » فهو يتابع التطورات بنزعة المؤرخ وحدس المفكر المؤمن الذي يريد لامته ان تستكمل جميع عناصر حياتها لتجاري الامم المتطورة في سيرها ..

ففي كتاب « أي غد ؟ » يضع القضية العربية على اساس مصيري .

وفي كتاب « نحن والتاريخ » يحلل موقف الامة العربية من ماضيها وتاريخها واثر هذا الموقف في حاضرها ومستقبلها . فهو يهدف الى ان تكون علاقتنا بالتاريخ علاقة تفاعل ايجابي مستمر ، وان تكون تحدياته لنا حافزا مستثيرا ، وردودنا عليه رفيعا مبدعا . وان يتمكن العرب في هذا الظرف الرهيب من حياتهم ان يردوا على تحديه الضخم الخطير بأصفى ما نمتلك من فكر ، وانفذ ما نقدر عليه من عمل ، واروع ما نحن اهل له من خلق وابداع .

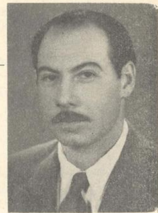
وفي كتاب « في معركة الحضارة » يتكلم عن ماهية الحضارة وشروطها وصورها ومظاهرها ومقوماتها ، وعن مقاييس التحضر وصور التقدم ، والوضع الحضاري المعاصر من جهة سماته البارزة ومنجزاته وامكاناته ومفارقاته ونقائصه ، ويخرج من كل هذه الابحاث ليحدد موقف الامة العربية من الركب الحضاري موقفا يجعلها وثيقة الارتباط شخصيا وقوميا وانسانيا بمركب الحضارة ..

انه يريد من الامة العربية ان تثور ثورة عقلية تجتث كل ما يعوق سيرها ، ثورة تختلف كل الاختلاف عن اية ثورة اخرى بصفات وميزات مستمدة من طبيعة العقل ذاته ، فهي تبغي الحقيقة اولا وتوقن ان اي كسب منها يفوق كل كسب آخر » وان اي بناء يقام على غير اساسها لا بد من ان يعتريه الوهن والفساد فيتخلخل وينهار . « الثورة العقلية » في نظره ، الضمانة الضابطة لاية ثورة اخرى ، وبها ، تدرك ان مشكلتها الاولى هي التخلف الحضاري ، وبها تقدم على محاسبة ذاتها ، وتحن الى التحضر ، وتؤمن بالحقيقة والعقل ، وتتطلع الى المستقبل ، وتتفتح للخير من حيثما اتى ، وتولد قدراتها الانتاجية ، وتحقق امكاناتها البشرية ، وتضبط ثورتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

انها ان سلكت هذا الطريق ، بلغت في اعتقاده ، سبيل السلامة والنصر في المعركة الام : في معركة الحضارة ..

وجميع ابحاثه تدور حول معالجة مشاكلنا القومية والخلقية والاجتماعية ، وهو صريح في معالجة هذه المشاكل ، يدرس الاسباب والعلل ، ويقترح الحلول العملية ليضيء الى النشء العربي الواجبات الملقاة على عاتقهم في غدهم المليء بالمخاوف والاخطار .

وقد اهلته روحه الجامعية وتفكيره المتزن ودراساته المتتابعة في شتى قضايا الفكر ـ ان يكون عضوا في عدة



صدى اغنيـة

* * *

فتشـي قلبـي ان أبقيت فـي
عقمـه ظـل أشتهـاء وصـدى

الهـوى لم يبـق لي مـن ترفـي
ليلـة اقتـات منهـا ، وغـدا

كلمـا شبـت بعينـي المنـى
جمـع القلـب اليهـا وعـدا

واستحالـت ادمعـا ينحتهـا
عبث الذكـرى بجفنـي سـدى

كنـت خمرا فـي دمي كنت هوى
مبهمـا طوقـت فيـه الإبـدا

وسمـاء امطـرت فـي اضلعـي
مـن محجاتـك عطـرا ونـدى

وصـدى اغنيـة فـي مسمعـي
كلمـا استنشدهـا القلب اهتدى

أي شـيء ظـل منهـا لهـوى
عبث الشـك بـه فاستشهـدا

نحـن لا أمسـا تبنينـا ولا
تـرك الوجـد بنـا مـا يفتـدى

لـم تكـن احلامنـا الا رؤى
كلمـا طافـت علـى قلبـي شدا

سمـرت أعيننـا فـي موعـد
لـم يـزل ينزف دمعـا اسـودا

بغداد
صفاء الحيدري

مجامع علمية وهيئات فكرية فانتخب عضوا مراسلاللمجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي في بغداد، والجمعية التاريخية الدولية ، وعضوا للجنة الدولية لوضع تاريخ تطور العلم والثقافة برعاية الاونسكو . وعضـو المجلس التنفيذي لمنظمة الجامعة الدولية ، ورئيس لجنة الخبـراء الدولية لدراسة قضية القبول في الجامعات برعايـة الاونسكو ومنظمات الجامعة الدولية .

هذا ، وقد ترجم ونشر عدة كتب : ترجم عن الالمانيـة بالاشتراك مع بندلي جوزي كتاب « امراء غسان مـن آل جفنة » لتيودور نولدك . ونشر كتاب « الزبدية قديمـا وحديثا » لاسماعيل جول بك . كما نشر المجلدات السابع والثامن والتاسع من تاريخ الدول والملوك لابن الفرات (١).

وبعد فهذه خطوط سريعة من حياة الدكتور قسطنطين زريق وما زال في اكتمال كهولته ، وهو في جميع كتاباته واضح الاسلوب ، بعيد عن التقعر ، قد لا تلمس في كتبه اساليب ائمة البيان ولكنك تلمس اسلوب المؤرخين الذيـن يلبسون الفكرة والاحداث القوالب التي تلائمهـا لتكـون واضحة العبارة ، سهلة الفهم ، بعيدة عن الغموض ، تنثال الافكار انثيالا يؤدي الى الفهم والاقتناع ثم الى التحفـز فالعمل .. وهذا في اعتقادي من ابلغ الاساليب التي تصل بيـن الكاتب وقرائـه .

حلب
سامي الكيالي

(١) وقد اشتركت الدكتورة نجلا عز الدين معه بنشر المجلد الثامن والجزء الثاني من المجلد التاسع .



محمد رجب البيومي

رئيس المجمع اللغوي القديم

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

حين اتصل الشرق بالغرب بعد الحملة الفرنسية وما وليها من الاحداث ! تنبهت عيون الكتاب الى ضرورة الاقتباس من معارف أوروبا ، ومحاولة الانتفاع بحضاراتها المزدهرة ، وكانت اللغة العربية من الجمود والتخلف بحيث لم تكن مفرداتها — على سعة معاجمها ذات الاجزاء والمجلدات — قادرة على الوفاء بحاجة العصر ، وادوات الحضارة ! فأصحاب الاقلام يرون مئات المستحدثات الجديدة ، وشتى الادوات الحديثة تتخذ اسماء أوروبية دون ان يجدوا لها نظيرا في اللغة العربية ! واكثرهم يظطر الى ذكرها بلفظها الاجنبي في مقالاته فتأتي مقالته الواحدة حينئذ كثوب ضم سبعين رقعة — كما يقول شاعر النيل —

سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى ... لعاب الافاعي في مسيل فرات !

وقد عكف السطحيون اذ ذاك على التغني بسعة اللغة وشمولها ، حيث أصبح للاسد خمسمائة اسم وللسيف ضعف ذلك ! ولكن أولي النظر الثاقب قد هالهم ان تقف اللغة العربية موقف العاجز عن تلبية حاجات العصر ، ورأوا في ذلك ما يؤذن بفنائها العاجل ، ويتيح الفرصة لانصار العامية ان يجدوا من الادلة ما يساعدهم على هجر اللغة العربية الى لغة لم تتصل برواة ، كما يقول حافظ ، وقد أرسل الشيخ ابراهيم اليازجي صيحاته المنذرة منبها الى ما يهدد لغة القرآن من خطر ، فقال في مرارة آسفة من بحث مطيل :

« تلك هي اللغة التي طالما وصفها الواصفون ، بأنها اغزر الالسنة مادة واوسعها تعبيرا وابعدها للاغراض متناولا ، واطوعها للمعاني تصويرا ، قد أفضت اليوم الى حال لو رام الكاتب فيها ان يصف حجرة نومه لم يكد يجد فيها ما يكفيه هذه المؤونة اليسيرة ، فضلا عما وراء ذلك من وصف قصور الملوك والامراء ،ومنازل المترفين والاغنياء وما ثم من آنية وملبوس ومفروش وغير ذلك من أصناف الماعون وأدوات الزينة مما لا يجد لشيء منه اسما في هذه اللغة ، ولا يكون حظ العربي من وصفه الا العي والحصر وطي لسانه على معان في قلبه لا يتسنى له ابرازها بالنطق ولا يجد سبيلا الى تمثيلها باللفظ ، كأن المقاطع التي يعبر بها عن هذه المشخصات لم يخلق لها موضع بين فكيه ، وليست مما يجري بين لهاته وشفتيه ، فعاد كالابكم يرى الاشياء ويميزها ، ولا يستطيع ان يعبر الا بالاشارة ، ولا يصفها الا بالايماء .

ويا ليت شعري ما يصنع احدنا لو دخل احد المعارض الطبيعية او الصناعية ورأى ما ثمة من المسميات العضوية وغير العضوية من انواع الحيوان وضروب النبات وصنوف المعادن ، وعاين ما هناك من الآلات والادوات وسائر أجناس المصنوعات وما تتألف منه من القطع والاجزاء بما لها من الهيئات المختلفة ، والمنافع المتباينة ، واراد العبارة عن شيء من هذه المذكورات ... لا ريب ان الكثير من ذلك لا يتحرك به لسان ولا تعهد له بين انواع معجمات اللغة الفاظا يعبر بها عنه ، ولا يغنيه في هذا الموقف ما عنده من ثمانين اسما للعسل ، ومئتي اسم للخمر وخمسمائة للاسد، والف لفظة للسيف ومثلها للبعير وأربعة آلاف للداهية ، وما يفوت الحصر لشيء آخر حرص مؤلف القاموس على استقصاء الفاظه حتى لم يكن يذكر مادة الا وفيها ما يشير اليه ويدل عليه »

هذا كلام سطره الشيخ ابراهيم اليازجي بمجلة البيان المجلد الاول سنة ١٨٩٧ وتحت عنوان « اللغة والعصر » وقد ساقه توطئة لنقد ما اقترحه المجمع اللغوي الاول بمصر ، وسنلم ببعض ما قال في هذا الفصل ، ولكننا ننقل هذا الصدر من كلامه لنسجل حيرة كاتب كبير لقصور العربية اذ ذاك ودهشته لنكوص علماء اللغة عن وضع مسميات صحيحة تفي بحاجة الكتاب ، وذلك بعض ما عقد من اجله مجمع اللغة الاول برئاسة السيد توفيق ! وقد سبق اليازجي والبكري اناس لمسوا هذا القصور ودعوا الى تلافيه ، وسنلم هنا بتطور ما نسميه بحركة الوضع اللغوي منذ بدأ الشعور بقصور المعجمات عن تلبية العصر، مع ازدحامها المكتظ بما لم يعد ذا غناء كبير !

نرى المؤرخين لتطور المناداة بوضع الكلمات وانشاء مجمع لغوي يرجعون بالاولية في ذلك تارة الى عبدالله النديم فيما نشره بمجلة التنكيت والتبكيت مجلد سنة

١٨٨١ ـ كما جاء في المجلد الرابع منمجلة الزهراء الصادرة سنة ١٣٤٦ هـ ص ٢٦٠ ، وتارة الى عبدالله فكري كما ذكر « الصحافي العجوز » توفيق حبيب في مقاله عن مجامع اللغة بالمجلد الثاني والسبعين من المقتطف سنة ١٩٢٨ ص ٥٨ ، !! ولكن تتبع المظان المختلفة يرشدنا الى غير ذلك ، فان عبدالله فكري يقول في الآثار الفكرية ص ٢٣٨ ما نصه :

« وانا لمحتاجون لها ايضا ـ لجمعية علمية ـ للاتفاق على الفاظ حسنة من اللغة العربية نستعملها بدل الالفاظ الاجنبية التي احوجت الضرورة الى استعمالها في هذا اللسان الشريف مع استغنائه عنها ، لعدم الاتفاق على شيء يسد مسدها مثل فابور ، وتران ، وكمبيالة فان ما تبدل به هذه الالفاظ ـ وان كان حسنا في ذاته ـ لا يعم استعماله واعتماده ومعرفته الا اذا صدر عن جمعية كهذه وفوائدها كثيرة يطول استقصاؤها ، ويعجز قلم البليغ احصاؤها ، وقد رغب في ذلك وحث عليه في الجوائب حضرة الاستاذ الافضل الاكمل الاجل محب الخير لجميع البلاد الاسلامية والمغرم بهذه اللغة الشريفة العربية (فارس) ميدان البيان (احمد) من خضع بديع اللفظ لمعانيه الحسان !»

فعبدالله فكري يرجع بالسبق الى صاحب الجوائب احمد فارس الشدياق . وفي آثار الشدياق نثرا ونظما ما ينطق بذلك ، فقد ذكر مؤرخه الاستاذ مارون عبود (١) انه وضع الفاظا كثيرة للمخترعات الجديدة مثل حافلة المجد للداليجانس والرتل للفاكونات والتفاف لبوليس التحري وسفينة النار للباخرة ، وكذلك الفاظ البريد والمنطاد والسلك البرقي والمؤتمر وعشرات غيرها كما نقل عنه شعرا قال فيه :

ومن فاته التعريب لم يدر ما العنا ولم يصل نار الحرب الا المحارب
أرى ألف معنى ما له من مجانس لدينا وألف ما له ما يناسب !

وقد كان الرجل اشهر اديب لغوي في عصره ينشيء مجلة صحفية ، فلا غرابة اذا اتجه الى هذا التعريب كما سماه في شعره ، ولكنه مع ذلك ليس ابا عذرة هذا الميدان ، ولا ادري كيف يتحدث كتاب مجلة الزهراء ومجلة المقتطف عن تطور الوضع اللغوي ثم لا يلتفتون في حديثهم الى رفاعة الطهطاوي وهو الرائد الحقيقي في هذا المضمار ، لقد برق اسمه في ذهني بدء تفكيري في تاريخ التعريب ، فهو اسبق من اصطدم بمشكلات الترجمة والتعريب ، فتذكرت اني قرات له كلاما في ذلك سطره في رحلته التي اسماها « تخليص الابريز الى تلخيص باريز ، » وكان مما قال في حديثه عن المسارح .

« لا اعرف اسما عربيا يليق بمعنى السبكتاكل او التياتر غير ان لفظ سبكتاكل معناه منظر او منتزه او نحو ذلك ولفظ تياتر معناه الاصلي كذلك ثم سمى الملعب ومحله . ويقرب ان يكون نظيرها اصل الملعب المسمى خياليا بل الخيالي نوع منها وتشتهر عند الترك باسم (كدية) وهذا الاسم قاصر الا ان نتوسع فيه ولا مانع من ان نترجم لفظ تياترو أو سبكتاكل بلفظ خيالي ويتوسع في معنى هذه الكلمة ...» ثم نرى رفاعة في رحلته ينشيء الاسماء انشاء وفق ما يتراءى له. فالصحف هي التذاكر اليومية والمسرح هو المقعد والمتحف هو خزانة المستغربات والمرفأ هو الموردة ...»

ونخرج منذلك ان التفكير في التعريب بدأ لدى علمائنا وكتابنا منذ عصر محمد علي وان رفاعة الطهاوي واحمد فارس الشدياق والنديم وعبدالله فكري قد نادوا بضرورته متعاقبين ، وجاء احمد زكي باشا ، فردد الدعوة بمجلة المقتطف (اغسطس سنة ١٩٠١) ونزل الى الميدان فقدم بالمجلة عدة كلمات جديدة من اختياره كالسيارة للاوتوموبيل والدراجة للبسكليت والصحافي لمحرر الجريدة ! فانضم شيخ العروبة بذلك لمن سبقوه في الدعوة الى امداد العربية بالكلمات المستحدثة وقد تحققت آمالهم جميعا بانعقاد اول مجمع للغة برئاسة السيد توفيق البكري بسراياه بالخرنفش ؟ وقد جاء استجابة لضرورة ملحة ، وردا عكسيا لحركة مضادة !

اما الضرورة الملحة ففي كلام اليازجي السالف الماع اليها يغني عن كل تفصيل واما الحركة المضادة التي كان المجمع الاول ردا حاسما عليها .. فهي دعوة السير ويليام ولكوكس في سنة ١٨٩٢ الى نبذ اللغة الفصحى قراءة وكتابة واتخاذ اللغة العامية اداة للتعبير الادبي كما فعلت الامة الانجليزية حين هجرت اللاتينية الى لغتها المحلية ، ومع ان السير ولكوكس جاء مصر ليكون مهندسا للري بوزارة الاشغال فمشرفا على مدرسة الهندسة الا ان دعوته الى العامية لم تفقد حرارتها من نفسه طيلة اربعين عاما قضاها في ربوع النيل ، وقد ساعده اتساع الامد على ان يفلسف دعوته الى العامية فيجد من مزاياها في رأيه انها ليست ذات علاقة باللغة الفصحى فكل منهما لغة متميزة عن الاخرى ، ونحن لم نكتسبها من العرب بل من الهكسوس الذين اقاموا في مصر نحو خمسة قرون بدليل ان طريقة النفي المزدوج في مثل قول العامي (انا ما عملتش) لا تعرفها لغة العرب وانما هي من اللغة الهكسوسية ! ثم زاد السير ويليام فترجم الانجيل الى اللغة العامية ، وقد القى سنة ١٩٢٦ خطابا مسهبا يدعو الى العامية ، بسط فيه مجمل ارائه بعد ان اختمرت اختمارا طويلا في صدره ! وقد رن صداه في نفس الاستاذ سلامه موسى فكتب مقالا (٢) ضافيا في تأييده ، ذكر فيه ان قاسم امين واحمد لطفي السيد ممن تأثروا بدعوة ولكوكس ونادوا بها فتلاشت صيحاتهم النافعة لدى من يجهلون طرق نجاحهم وارتقائهم من عشاق اللغة العربية ! ومن المفيد ان نذكر ان هذه الدعوة التي فاه بها ولكوكس سنة ١٨٩٢ تجددت مرة ثانية سنة ١٩٠١ على يد المستر ويلمور احد القضاة بمصر اذ

أصدر كتابا ينصح بهجر الفصحى قامت وراءه ضجة لائمة! وقد ذهبت هذه الدعوات المتكررة الى هجر الفصحى رغم سيطرة الاحتلال ونفوذه ادراج الرياح .

وما كاد السير ويليام ولكوكس سنة ١٨٩٢ يدعو الدعوة الاولى الى العامية ، حتى نشط (٣) السيد توفيق البكري الى تأليف مجمع لصيانة اللغة العربية ، يعالج مشكلاتها ، ويضم ما يلزم من الكلمات الى معجمها، فعقد عدة اجتماعات تمهيدية لتكوين المجمع ، وقام باتصالات متكررة لانشائه ، حتى تقرر عقد الجلسة الاولى بسراياه ، اذ شهدها الاستاذ الامام محمد عبده والعلامة الشنقيطي الكبير والشيخ حمزة فتح‌الله والشيخ حسن الطويل ، وحفني بك ناصف ومحمد بك المويلحي ومحمد عثمان جلال ومحمد بيرم ، واتفق الحاضرون على ان تكون رئاسة المجمع للسيد توفيق وسكرتاريته للسيد محمد بيرم ! واختيار السيد توفيق للرياسة لم يكن في رأيي مما توحي به طبائع الاشياء، فعمره اذ ذاك لم يتجاوز الثانية والعشرين ، ومن المتبع عرفا ان يتقدم الى ذلك اسن المجتمعين وهو الشيخ حسن الطويل ! فالرجل مع جلال الشيب ووقار الفضل استاذ الشيوخ جميعا وفي مقدمتهم الاستاذ محمد عبده ، فكيف يراس السيد مجمعا يضم اساتذته الكبار من امثال حمزه فتح‌الله والشنقيطي ومحمد عبده وحسن الطويل ! لعل قيامه بالدعوة الى انشاء المجمع وانعقاده بسراياه مع ما يتبع ذلك من نفقات الاجتماع واذاعة بحوثه ومحاضراته مما مهد الى ذلك ، وقد احس السيد الشاب بخطورة موضعه ، فكان يبذل في الجلسات السبع التي عقدها المجمع جهدا فوق طاقته ، وقد انتهت هذه الجلسات المثمرة في السابع عشر من فبراير سنة ١٨٩٣ ، ومما لا يتسع له المجال ان يفيض هنا في تتبع ما دار بالجلسات من بحوث ؟ وقد احتفى السيد عبدالله نديم بها احتفاء مشجعا في مجلة الاستاذ فليرجع اليها من يتطلب المزيد ، ولكنا نسلط الضوء على مجهود السيد توفيق العلمي في جلسات المجمع فهو يصور غيرته العربية وحميته الادبية كما يفصح عن نشاطه الباكر في حقل اللغة والادب ، ويدل من ناحية نفسية على اهتمامه بالتفوق والتبريز .

لم تكن مهمة المجمع مقصورة على اللغة وحدها بل قدر منشئوه ان يكون مجمع لغة وأدب معا ، اذ كان ما القى به من البحوث مما يعم الناحيتين ، وقد تقدم السيد توفيق البكري في الجلسة الرابعة المنعقدة مساء ٤ – ٢ – ٩٣ ببحث لغوي ضمنه اختيار عشر كلمات عربية جديدة لتحل محل عشر كلمات اجنبية ذائعة ، وهي مرحى لكلمة برافو ومدره لكلمة افوكاتو ، ومسرة لكلمة التليفون وعم صباحا بدلا من بون جور وعم مساء بدلا من بون سوار وبهو لكلمة الصالون وقفاز لكلمة الجوانتي ونمرة لكلمة نمرو ووشاح لكلمة كوردون ...

كما تقدم السيد محمد المويلحي بعشر كلمات جديدة اخرى لتحل محل عشر كلمات أجنبية وهي الطنف للبالكون ، والحراقة لمركب التوريد والجديلة للموضة ، وبطاقة الزيارة للكارت ده فيزيت والمرب للكلوب ،والحذاقة لشادة الدراسة كالبكالوريا ، والمعطف للبالطو ، وحصب الطريق لفرشها بالمكدام ، والشرطي او الجلواز لرجل البوليس والمشجب والشجاب للبورت مانتو .

وقد اقر المجمع هذه الكلمات العشرين وتناقلتها الصحف، فدار حولها نقاش كبير ما بين تأييد واعتراض ، والطريف ان اعضاء المجمع لم يتولوا الدفاع عن كلماتهم المستحدثة بل اكتفوا بعرضها على الراي العام ، اما الذي نافح عنها ففريق آخر من المتحمسين لها وفي طليعتهم السيد عبدالله النديم ، واذكر ان جورجي زيدان وابراهيم اليازجي كانا من المعترضين على كثير من الالفاظ وان كانت لهجة زيدان معتدلة منصفة ، ونبرة اليازجي عالية مرتفعة وسنحاول ان نقف على وجهتي المعارضة والتأييد.

بدأ زيدان نقده بمجلة الهلال (مارس سنة ٩٣) مثنيا على فكرة المجمع وهمة أعضائه داعيا له بالتوفيق والسداد، وقد قال عن نفسه وعمن لم يسهموا في المجمع من الادباء « على اننا لا نحسب انفسنا الا شركاء لحضراتهم في هذه الحومة يلزمنا ما يلزمهم من الاهتمام بها فيجوز لنا بمقتضى ذلك ان نشاركهم في العمل ولو تذكيرا » .

ثم تطرق الى نقد لغوي لبعض الكلمات البكرية نختار منه هذين الاعتراضين :

(١)ان لفظة مدره لا تسد مسد لفظة افوكاتو بكل معانيها اذ ان هذا اللفظ في اللغات الافرنجية يفيد المدافعة عن الاخرين في كل الامور الشرعية وهذه لا تفيده لفظة مدره لان المراد بها زعيم القوم والمتكلم عنهم بما له من الرئاسة عليهم كما هو الحال في زعماء الاحزاب ! اما الأفوكاتو فعلى خلاف ذلك كما لا يخفى وأيضا فاننا قد اعتدنا كلمة اخرى اقرب كثيرا للمعنى المراد ، مألوفة بيننا يفهمها الخاص والعام وهي كلمة محام فانها تفيد معنى أفوكاتو تماما ولها منها اشتقاقات يسهل استعمالها فنقول حامى عنه ويحامي . قال الشاعر :

لقد أحسن الدمع المحاماة بعد ما ... أساء الاسى اذ جاور القلب داخله

(٢) كلمة نمرة لا تؤدي المراد من نومرو الافرنجية بل هي في غير معناها لان نمرو تفيد في الاصل العدد او الارقام ، وقد اطلقت على العلامات والارقام التي يستخدمها الكتاب وغيرهم ليميزوا بها أصناف السلع بعضهم عن بعض ، اما النمرة فهي النكتة من اي لون كان ، والنكتة النقطة البيضاء في الاسود او السوداء في الابيض ، واذا جاز لنا استعمالها بمعنى نمرو فينقصنا الفعل منها اذ ليس

(١) مجلة الكتاب المجلد الثاني ص ٥٩٦ . (٢) اليوم والغد ص ١٢٣ للاستاذ سلامه موسى.(٣) المقتطف مجلد ٧٢ سنة ٢٨ للاستاذ توفيق حبيب

في اشتقاقها ما يقوم مقام نمر العامية ، وعندنا ان مادة رقم تؤدي الفرضين معا لانهم يقولون رقم الثوب خططه واعلم بأن ثمنه كذا ومنه قولهم يجوز بيع الشيء برقمه فلنا الرقم بمعنى نمرو ورقم تقوم مقام نمر العامية ، ولنا بهذا المعنى ايضا رقم ترقيما فنرى ان اختيار احد هذين الاستعمالين اقرب من الفرض المراد من اختيار النمرة ».

هذا ما ذكره المرحوم جورجي زيدان خاصا بكلمات السيد البكري ثم انتقل الى كلمات المويلحي فاعترض على اختيار الحراقة والمرب والجديلة وساق تعليلات موفقة نشير الى مصدرها في هلال سنة ٩٣ اذ ان تلخيصها هنا مما لا يتسع معه المجال .

وقد سكت السيد توفيق فلم يعقب على نقد صاحب الهلال ، ولكن السيد عبدالله النديم قد طلع على القراء بالعدد ٢٩ من مجلة الاستاذ سنة ١٨٩٣ بتفنيد لآراء زيدان وكان مما قاله النديم « ان لفظ مدره يقوم بالمراد من أفوكاتو فانه كما يدل على السيد الشريف في قومه يدل على المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال والمقدم في اللسان صفة جامعة لكل ما يخاصم فيه سواء كان حقا شرعيا او مدنيا او جنائيا له او عليه فهو اعم من لفظ محام الا في مادة حمى الشيء منعه ودفع عنه وليس فيه معنى المطالبة بالحقوق ولا درء الحدود ولا رد الشبه ولا ابطال الدعاوى ولا تأييد سابق للادلة والبراهين ولا تأويل معنى قانوني ولا تخطئة قاض ولا تفسيق شاهد ، وكله يندرج في الخصومة ، على ان كل معنى اريد من أفوكاتو فانه من معاني المدره » .

اما النمرة فقد وافق النديم على مخالفة معناها لمعنى نمرو الافرنجية ولكنه فضل لفظة عدد في الانابة عنها على لفظة رقم لامور رآها ، وقد تعقبه الاستاذ جورجي زيدان في مجلة الهلال ابريل سنة ١٨٩٣ بما يكشف وجهة نظره ، والحق ان كلمات البكري والمويلحي قد اتاحت نقاشا لغويا ممتازا بين صاحبي الاستاذ والهلال ، فشرعت المناقشة اللغوية في الصحف ، وجرات الاقلام على المشاركة في الوضع والتعريب ! ويكفي السيد توفيق البكري فخرا ان يكون واضع هاتين الكلمتين الذائعتين بيننا الان وهما المسرة للتليفون والقفاز للجوانتي من بين كلماته السابقات، ولو اهتم اديب بعرض ما دار من نقاش لغوي حول المجمع الاول في بحث مستقل لامتع بالجيد الطريف !

وقد انشأ الاستاذ ابراهيم اليازجي مجلة البيان سنة ١٨٩٧ بعد انقضاء قرابة خمس سنوات على انشاء المجمع ، وبعد انتهاء الصراع حول كلماته المختارة في ميادين الصحف ، ولكنه اعاد الهجوم عليها بعنف يغلو ويشتد ، وكان الشيخ قد كشف عن غضبته لنفسه حين قال عن اعضائه في مقدمة نقده

« واول ما يؤخذ عليهم في امر هذا المجمع انهم حصروا انتخاب المشتغلين به في عداد رجال مصر ، وحظروا ان يشاركهم فيه غيرهم من سائر الناطقين بهذا اللسان وهو امر خفي علينا وجه الحكمة فيه بل لم نجد لهم عذرا يخرجهم من المؤاخذة عليه فانه ان كان ذلك عن مزيد اعتداد بانفسهم في كفاية هذا الامر حتى اداهم الى ترك الاعتداد بغيرهم فهي السوءة التي لا يسترها احسان ولا يشفع فيها فضل ولا رمزية بل هي السقطة التي تقضي وحدها على كل عملهم بالحبوط ، ومساعيهم بالاخفاق » .

ثم تعرض الى نقد كلمات البكري والمويلحي بما يتفق مع زيدان في بعض مناحيه . واتبع ذلك بهجوم لاذع على دعوة البكري الى استعمال عم صباحا وعم مساء في مقابلة بنجور وبنسوار اذ ان الفاظ التحية في العربية اكثر من ان تحصر فلماذا نلجأ الى تعبيرين قديمين قد ماتا منذ ازمان مديدة ولم يعد يسوغها الذوق المعاصر ، وان اجهل العوام ليعرف كيف يلقي تحية الصباح وتحية المساء دون مشقة تحوجنا الى اختيار كلام عتيق ثم قال اليازجي بعد ذلك :

« على أنهم – اعضاء المجمع – لو مضوا على ما بدءوا به من ذلك وادمنوا الاشتفال بالبحث والتقييد لجاء فيما يضعونه فوائد لا تحصى ولخدموا اللغة خدمة سنية كانت تردها عليهم شكرا جزيلا، وذكرا على الايام جميلا، ولكنهم لم يلبثوا بعد وضع هذه الكلمات ان تشاغلوا بانشاء القصائد والقاء الخطب ، ثم ختم المجمع على هذا القدر » .

وهذا كلام ينطوي على بعض الغبن لاعضاء المجمع ، فالقاء الخطب امر لا بد منه للتعريف بدور المجمع والحاجة الى انشائه وتنبيه الاذهان الى المهمة الكبرى التي تجثم فوق عاتقه ، في مناسبة انعقاده لاول مرة .

وقد فهم الشيخ اليازجي ان دائرة المجمع لا تخرج عن وضع الكلمات فانحى على الخطب بالتهجين ، ولو علم ان المجمع كان ذا ناحية ادبية فوق ناحيته اللغوية لوجد ما القي من المحاضرات والخطب من صميم اختصاصه ، فقد كان التعريف بآداب العرب ، ومناهج البحث في العربية مما يندرج في مهمة المجمع منذ انشائه ، وكانت الدوائر الادبية خارج المجمع ترى ذلك وتحث عليه حتى اقترح الاستاذ عبدالله النديم بمجلة الاستاذ (مجلد سنة ١٨٩٣) ان يقسم الاعضاء بحسب اختصاصاتهم فقسم للغة وقسم للتاريخ وقسم لتقويم البلدان ورابع للترجمة وخامس للرياضيات على ان يقدم المجمع جوائز ادبية لمن يقدم اليه رسالة في فن يعينه او يحقق مطلبا يخصه ، وعلى ان تنشأ قاعة للخطابة يؤمها المثقفون !! وجل هذه الاقتراحات قد أخذ بها الان حتى اصبحنا نرى في مجامع اللغة بالبلاد العربية ما يحقق كثيرا من آراء النديم على نحو مثمر ذي منهج مضبوط !! وكان السيد توفيق البكري اول من اعان على توسيع دائرة البحوث المجمعية فقد تقدم الى المجمع – فوق بحثه الخاص بالكلمات الجديدة – ببحثين هامين يتحدث احدهما عن ما سماه الوفاقات والعادات بين العرب والافرنج ويفيض الثاني في بيان اخلاق المتنبي كما يتراءى

فـي شعـره !

اما بحث الوفاقات والعادات فقد كان مبتكرا جديـدا يدل على اطلاع ثاقب ، وتنقيب دءوب ، وقد أطراه الاستاذ جرجي زيدان بالهلال مارس ١٨٩٣ فكان مما قاله عنه ان ذلك الخطاب مما تتنافس به المنتديات العلمية وتتفاخر به المحافل الادبية ، ويا حبذا لو عثرنا عليه كاملا فنزين بـه الهلال افادة لحضرات القراء ...

ومع حرص صاحب الهلال على نشره فقد تشاغل السيد عن تلبية رغبته ، وظل البحث مطويا في أضابيره حتـى اذن لشارحي صهاريج اللؤلؤ بنشر خلاصته ، وقد نمت عن اجادة في البحث والمقارنة ، اذ تحدث السيد عن سبق العرب الى التمثيل المسرحي معتمدا على ما رواه صاحب العقد عن رجل صوفي كان يجمع الناس في عهد المهدي ثم يختار منهم من يمثل اشخاص الخلفاء كأبي بكر وعمـر وعثمان وعلي ومن وليهم الى قيام الدولة العباسية ، من رجال الدولة الاموية ، وهنا يسأل الصوفي كل خليفة عن أعماله ويأمر به في النهاية الى حيث يأخذ مكانه من الجنة او النار ! وقد كان استشهاد السيد البكري بهذه الحادثـة التاريخية داعيا بعض مؤرخي المسرح العربي الى متابعته في استشهاده ! وان كان البعض الاخر لا يرجع بأقدمية التمثيل العربي الى ابعد من خيال الظل ، والقصة التاريخية التي استشهد بها البكري طريفـة مشوقة ، ولـولا جلال الخلفاء الراشدين لصلحت ان تكون نواة لتمثيلية بارعـة تظهر اعمال امية وما ارتكبته من عسف وارهاق بخصومها المتربصين !! ثم تحدث السيد المحاضر عن عادات الرقص بين الشرق والغرب وعن تصوير الوقائع التاريخية والمعارك الحربية في لوحات خاصة اشار اليها المقريزي ، ورآهـا السيد دليلا على الوفاقات بيننا وبـين المتحضرين في الغرب ، ثم افاض البكري في نظائر هذه المتشابهات فـي التاريخين الغربي والشرقي من مثل تصوير الملوك علـى النقود واتخاذ الشعارات الخاصة بالرؤسـاء والابطال ، والاستئذان قبل الدخول ، وتقديم قائمة بمحتويات المطاعم ليختار الآكل منها ما يشاء ! والتهادي بالزهو والرياحين في المواسم والاعياد ، مع الاستشهاد الجميل بروائع الشعر ونوادر الطرائف ...! ولعل الناظر الى هذا البحث مـن مثقفي الجيل المعاصر يراه مما يسهل الحديث عنه بعـد اتساع الترجمة والنقل وازدهار ادوات الاذاعة والنشر والاعلام ، ولكن الحديث عن ذلك في مفتتح سنة ١٨٩٣ قبل ان تطبع اكثر امهات المصادر من عربية وافرنجية يعد جليلا رائعا من شاب قريب العهد بالبحث والاستنتاج .

اما بحث السيد توفيق عن اخلاق المتنبي كمـا تتراءى في شعره . فقد نشرت خلاصته ايضا في هوامش صهاريج اللؤلؤ ، وهو مما ينبىء عن دراسة ديوان المتنبي دراسـة نافذة بصيرة وان كان السيد قد اكثر من الصفات الجزئية المتداخلة التي يمكن ان تختصر الى صفات عامة شاملة ، والحديث عن المتنبي الان من قبيل التكرار المستعاد فقـد غمر الشاعر تحليلا وبحثا بحيث يتعذر على من يتحدث عنه ان يأتي بالجديد الا ان يكون ذا بصر خاص يرى به ما لا يرى الرائون ، ولكن حديث السيد في ابان كان مقبـولا موفقا ، وان كانت ناحية الطرافة والابتكار به لا تقـاس بابداعه الموفق في حديثه عن الموافقات والعادات ، وقـد أحسن السيد اذ قدم خلاصتها بالصهاريج فأتاح لنا ان نحكم ..

ختم المجمع اعماله بعد جلساته السبع ، ولئـن كـان السيد توفيق قد شارك في الوضع اللغوي بما قدم مـن كلمات وفي البحث الادبي بمحاضرتين هامتين فقد بذل اقصى ما ينتظر من عضو نشيط ، او رئيس متحفز ، وقد اخذ الناقدون على المجمع انه لم يوال انعقاده حتى تتحقق جدواه ، ولعل ظروفا خاصة قد حالت دون ان يسير في تقدمه المرجو ، ولكنه مع ذلك كان صيحة عاليـة تؤذن بضرورة الاجتماع المتكرر لانقاذ اللغة مما يتهددها من عقم وامحال ، وقد شجع انعقاده ذوي الرأي بعد ذلك علـى تأليف مجامع اخرى للغة انعقدت متوالية في فتـرات متعاقبة حتى اختتمت في سنـة ١٩٣٢ بانشاء مجمعنا العظيم منذ اكثر من ثلاثين عاما فكان موئل اللغـة وحصن العربية بما أجزل من نفع وانضج من ثمار ...

لقد كان المجمـع الاول ـ مهما قيل فـي نقده ـ ثمرة موفقة لبعض جهود مخلصة لاعلام من الادباء والعلماء وكان السيد توفيق رئيسه المختار ، وداعيته الحريص ، واحد الاصوات الجهيرة التي دوت عالية من فوق منبره ! فوجب علينا ان نشير الى دوره المجمعي منصفين !!

الفيوم ـ دار المعلمات — **محمد رجب البيومي**

أرق

•

ارقتني والليل مـرخ سدوله
ربة الحسن والعيون الكحيله
ورماني بنبلة السحر جفـن
مـن دم القلب لـم يبـل غليله
وتهادت علي طيفا سنيـا
كتهادي الشعاع فوق الخميلـه
قرحت مقلتي ولكن أعـادت
لفؤادي ذكـرى عهـود جميلـه

حلب — **عبدالله يوركي حلاق**

كأن الريح

ثريا ملحس

الحرف يتلو الحرف عمدا
من فك غول يفلت
نقط الحروف تنهار
بلا نهاية تطير كالشرر
تغنى على لسان ثور
هديرها فأر
أمام هرة يحتال
والدرع ينفك حولي
زردا في ذرى القمر
على صدري سواء
من العقد وملوى الجبل
عقد عقد
تدور كالافاعي دميمة
لسانها ذو شعبتين
تنور وخبز وماء
تلتهم بطتين
ترقص القرود لتنام
والفراغ سوط يهزني
والصدى لا أهل ولا وطن
قدماي ريشتان
ونفسي هبة
تطير في فراغ اللابداية
ولا نهاية
وصوت خالد يجلجل
في الفراغ
والصوت ياكل الصوت
يدور معا بلا نهاية
(على قلق
كأن الريح تحتي
أوجهها
جنوبا او شمالا)
بلا وطن
ولا أم رؤوم
تهدهدني غدوا او مساء
كتمثال قد من صوان
أوقف الحرف واللسان
أسحق الصخر والبيان
اطفىء الشمس
ألعن الساعة
لم خلقت من انسان ؟
في أنفه شم الفناء
وديدن التراب
وطين وأوحال

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

الفكر الانساني من قديم الزمان مشغول في قضية واحدة وهي قضية الحقيقة الاولى او حقيقة الحقائق وهمه الوصول الى معرفة هذه الحقيقة التي هي سر هذا الكون ومفتاح مغالقه . وقد وضع الانسان في اثناء هذا المسعى الطويل نظريات عديدة كانت كلها مرآة لروح العصر الخاص بها ، تتغير قرنا بعد قرن كلما ازدادت معلومات الانسان بهذا الكون . ومن جملة هذه النظريات تعليل وجود هذا الكون، وكيف وجد ومن اوجده، وكذلك تعليل حقيقة الكون، ومن اية مادة هو وهل هو موجود فعلا ام انه يخيل الينا وجوده، الى غير ما جاء من نظريات وحلول عن الوجود . وكان الانسان في جميع ادوار التفكير والفلسفة يصطدم بعقبة واحدة وهي ان هذا الكون مؤلف من مادتين او قوامين : مادة مادية محسوسة ومادة روحية تدرك فقط بالافهام ، فكيف يمكن التوفيق بين هذين الطرفين ؟ ومن هنا جاءت فكرة الوثنية في تعدد الآلهة والاراء الميثولوجية ، وكان الاساس فيها ان الانسان طبق ما يشعر به في عالمه الصغير على ما يراه ويختبره في العالم الكبير الخارجي . فالانسان يعرف مثلا ان يده لا تتحرك الا اذا هو حركها ، فالريح اذن لا تهب الا اذا أهبها احد ما وهذا الاحد يجب ان يكون كالانسان وان كان اقوى واعظم . وآلهة الاغريق القدماء لا يخرجون عن ذلك . ولكن الانسان ايضا في بحثه عن حقيقة هذا الكون في الادوار الاولى من تاريخ الفكر والفلسفة ، اصطدم بعقبة اخرى كان يعتبرها في السابق قضية مسلما بها ، وهي وجوده نفسه في هذا الكون ، فمن اين جاء ولماذا جاء ، وما هي علاقته بهذا الكون . وهنا ظهرت مثنوية جديدة Dualism فالمثنوية الاولى كانت بين الروح والمادة ، ولكن هذه بين الانسان من جهة كعالم داخلي والكون من جهة اخرى كعالم خارجي . وبهذه المثنوية الجديدة اخذ الانسان يتساءل : هل العالم الخارجي موجود حقيقة ؟ وهل معرفة الانسان هي كل ما تمكن معرفته في هذا الكون ؟ وهل توجد اسرار خفية وراء هذه المظاهر لا يمكن للانسان العادي ان يصل اليها ؟ وفي الجواب عن هذه الاسئلة حدث اختلاف كبير بين المفكرين والفلاسفة . فأصحاب الفلسفة الحقيقية Realism امثال لوك الانكليزي و ديكارت الفرنسي يرون ان الصورة الذهنية تدل على وجود اشياء حقيقية خارج الذهن . واصحاب الفلسفة الفكرية Idealism يرون ان كل ما نعرفه عن هذا الكون هو في الذهن فقط ، ولا نعلم شيئا عن وجود حقيقي للعالم الخارجي . وقد تطرف بعض اصحاب هذه الفلسفة فقالوا ان الفرد وحده هو كل شيء في هذا العالم ، وانه لا وجود على التحقيق لاي شيء خارج عن هذا الفرد ، وهذا هو المذهب الذي يطلق عليه اسم Solipsism . واصحاب الفلسفة الظاهرية Phenomenalism وعلى رأسهم الفيلسوف الالماني كانت يرون ان ما نعرفه عن هذا العالم هو ما نشعر به في ذهننا او شعورنا ، وهذا كل ما نعرفه وهو ما لا نستطيع ان نجزم بانه الحقيقة ، لان الحقيقة لا يمكن الوصول اليها بالعقل البشري المعروف . وهذا اساس تقسيم المعروفات الى Phenomena اي معروفات ظاهرية والى Noumena اي معروفات غيبية . وهذا التقسيم أقرب ما يكون الى النظرية الاسلامية في المعرفة والى النظرية الصوفية او الباطنية Mysticism .

وعلى كل فان الفلسفة في الغرب ، ولا سيما منذ ظهور ديكارت الفرنسي ، ظلت منحصرة بين طرفين طرف داخلي عند الانسان وطرف خارجي خارج عن الانسان ، وهذا ما يشار اليه دائما في الابحاث الفلسفية بالعلاقة بين المشاهد Subject والمشاهد Object . فهل الاشياء المشاهدة مستقلة في وجودها عن عقل المشاهد ؟ ام انها من صنع هذا العقل وتصويره ؟ فالفيلسوف باركلي يقول انها من صنع العقل وتصويره ، كالالم مثلا . فان هذا لا وجود له الا في ذهن المتألم وشعوره . والمصاب بعمى الالوان لا يقر بوجود اللون الذي لا يراه ، ولو ان غيره يراه ، فاللون باعتباره غير موجود . والانسان عموما مصاب بالعمى من جهات مختلفة . فالاذن الانسانية لا يمكنها ان تسمع بعض الامواج الصوتية ، في حين ان الكلاب او الوطاويط تسمعها ، وكذلك العين الانسانية لا ترى بعض الامواج الضوئية . فهل يصح ان يقال ان الذي يشاهده الانسان هو الحقيقة؟ وكيف نجيب من يعترض بقوله ان الانسان يرى البعيد صغيرا ويرى العصا معطوفة في الماء ، مع العلم بأن هذا البعيد لو اقتربنا منه لظهر كبيرا وبأن العصا لو اخرجناها من الماء لظهرت مستقيمة ؟ وهل لدينا الا ان نقف موقف الحيرة من هذا الامر ؟ ولعلنا نفترق هنا ، فبعضنا يقول ان الصورة الذهنية لشيء ما قد لا تكون صورة كاملة ولكنها لا تنفي وجود الشيء ، وبعضنا الاخر يقول ان ما نعرفه هو هذه الصورة الذهنية ولا تمكن معرفة شيء غيرها ، لان وسيلة المعرفة هي هذا الذهن الذي نشك في صحة صوره . فكيف يمكن للذهن ان يكون متهما وحكما في الوقت نفسه ؟

فالمسألة تتلخص اذن في عوامل ثلاثة او فرضيات ثلاث : (١) المشاهد او العارف . (٢) المشاهد او المعروف . (٣) حقيقة الوجود ، هذه الفرضيات الثلاث هي اركان الفلسفة او الفكر في الغرب ، ولا يمكن معرفة

روح هذه الفلسفة او هذا الفكر بدون الوقوف على تاريخ هذه الفرضيات وعلى مقدار تعلقها بالفلسفة الدينية في أوروبا بصورة خاصة ، وقد تطرقنا لهذا البحث عن الكليات والجزئيات في هذه الفلسفة الدينية في مقال سابق . وقد سبق ان ذكرت في هذه المناسبة شيئا عن النزاع المرير بين اصحاب الفلسفة الحقيقية Realism المتطرفة واصحاب الفلسفة الاسمية Nominalism . وانتصار الفلسفة الاسمية في اوروبا وفي الغرب عموما كان من نتيجته ، في راي الكثيرين ، بداية عهد التفكك في الوحدة الغربية وبداية ظهور الفردية ، لان انتصار الاسمية معناه من ناحية فكرية انتصار الجزئيات وانهزام الكليات Universals التي كانت تتمسك بها السلطات الدينية والزمنية على السواء في القرون الوسطى . ولهذا النزاع ارتباط وثيق بالنزاع المماثل بين الفلسفة الحقيقية الجديدة والفلسفة الفكرية Idealism ، وقد حاول الكثيرون بعد ديكارت الجمع بين الفلسفتين ، كما سعى سبينوزا (١٦٣٢ — ١٦٧٧) و لايبنتس (١٦٤٦ — ١٧١٦) وشلنك (١٧٧٥ — ١٨٤٥)، وكما سعى فيما بعد هسرل في فلسفته الوصفية . وهذه الناحية من الفلسفة الغربية من امتع النواحي لانها فتقت للفكر الفلسفي مناحي جديدة لم تكن من اغراض الفلسفة قديما ، وكان الفاتق الاول لها هو الفيلسوف الفرنسي ديكارت زعيم الفلسفة الغربية الحديثة . وقلما يمر الباحث بهذه الناحية بدون ان يتوقف عندها للتأمل والتفكر . ولا يمكن للباحث هنا الا ان يدرك مبلغ التأثير الديني في هذه الفلسفة . من ذلك مثلا ان باركلي زعيم الفلسفة الفكرية كان يقول ان الاشياء لا تكون موجودة الا عند المشاهدة وتكون موجودة في الذهن ، ولكنه حينما تساءل : اين توجد الاشياء اذا غاب الانسان عنها ؟ قال انها توجد في ذهن الله . ثم انه لا يخفى ان التقليل من قيمة الحقيقة الخارجية والاقتصار على الصورة الذهنية تقليل من قيمة العلم النظامي Science وعودة الى افلاطون الذي كان يحتقر الاختبارات العلمية والابحاث الطبيعية . والنظرية الفكرية المتطرفة التي اشرنا اليها باسم Solipsism والتي تقول بأن الفرد هو جماع كل شيء في هذا العالم وان الشيء لا يوجد الا اذا فكرت فيه ، هي اغرب ما ظهر من الآراء الفلسفية . وقد علق احدهم على ذلك فقال : « ان مصائب البشر يمكن اذن ان تزال من الوجود اذا انتحرت . » وقد بحث الفيلسوف الالماني شوبنهور (١٧٨٨ — ١٨٦٠) بحثا مستفيضا في تاريخ النزاع بين الفلسفة الفكرية والفلسفة الحقيقية في احدى مقالاته .

فالفيلسوف ديكارت هو امام الفلسفة الغربية الحديثة بحق ، وذلك لانه ارجع الى العقل مقامه بدلا من الاعتماد على الكتب الدينية من جهة ومن الاعتماد على ارسطو من جهة اخرى . وهو اول من فتح الباب امام الفلسفة الحديثة نحو العلاقة بين الذهن او الشعور وعالم الاشياء الخارجي ونحو التفاعل بين هذين الجانبين ، ونبه على نقطة مهمة وهي مقدار ما في معرفتنا من معلومات هي صورة صادقة عن الاشياء الحقيقية ومقدار ما فيها من معلومات هي من صنع الذهن او الشعور فقط ، اي هل معرفتنا الحاصلة في الذهن تخبرنا الخبر الصحيح عن الاشياء على حقيقتها في الخارج ام هي من صنع الذهن وانها لا تخبرنا الخبر الصحيح عن حقائق الاشياء في الخارج ؟ ثم ان الاشياء التي تقوم في الذهن ، هل هي الاشياء الحقيقية ، ام صورة محرفة عنها ؟ وهل يوجد لدينا ما يدلنا على ان الاشياء التي نشعر بها موجودة فعلا في الخارج ؟ واذا كانت اشياء في الخارج فهل لدينا ما يدلنا على طبيعة هذه الاشياء وكنهها؟ هذه هي المشكلة التي تصدى اليها ديكارت، وهي المشكلة التي اشغلت الفلاسفة في الغرب مدة مئتي سنة ، حاولوا في اثنائها ان يفرقوا بين المعرفة الحصولية التي تقوم في الذهن وبين الاشياء التي توجد مستقلة عن الذهن وليست من صنعه . وبالتنبيه على الهوة بين عالم الذهن وعالم الاشياء كان ديكارت زعيم الفلسفة الحديثة. ولكن ديكارت لم يتحرر من التأثير الديني في فلسفته كما تحرر غيره . فقد بنى الجزء الاساسي من هذه الفلسفة على الايمان بالله ، وآمن بوجود الاشياء في العالم الخارجي لانه لا يجوز ان ينسب الخداع الى الله اذا كانت المعلومات الذهنية لا تخبرنا الخبر الصادق عن حقائق الاشياء في الخارج . ثم انه لما اراد حل مشكلة العلاقة بين الجسم والنفس واعتبر ان الجسم يؤلف وحدة قائمة بذاتها منفصلة عن النفس التي هي تؤلف بدورها وحدة قائمة بذاتها لم يجد واسطة تقوم بالاتصال بين الجسم والنفس الا الله ، فقال ان الجسم لا يتحرك من ذاته وانما يتوسط الله بين النفس والجسم ويحرك الجسم . وهذا نوع من التنويه . والغريب في هذه القضية ان ديكارت استعان بوجود الله على اثبات وجود العالم ، في حين ان فلاسفة الدين وعلماءه استعانوا بوجود العالم على اثبات وجود الله .

وجاء مالبرانش تلميذ ديكارت ، وكان راهبا في احد الاديرة ، فقال اننا نرى الاشياء في الله . فان ديكارت كان قد رأى ان العالم مؤلف من ثلاثة جواهر : اثنان منهما محدودان وهما العقل البشري والمادة وثالث وهو الله . وكانت مشكلة ديكارت هي التوفيق اولا بين العقل البشري والجسم المادي اولا والتوفيق بين الجوهر الالهي السامي وبين الجوهرين المحدودين الاخرين . وقد رأينا ان ديكارت وصل بين العقل والجسم بالقوة الالهية . فلما جاء مالبرانش اخذ يفكر في طريقة اخرى للتوفيق بين العقل والمادة او بين المحدود واللامتناهي وقال ان العقل في الانسان هو القوة الفاعلة في الجسم ولكن هذا العقل محدود ، فلا بد ان يكون هو خاضعا لقوة خارجة عنه غير محدودة وهي قوة الله . فاذا تغير العقل عند التفكير او الرغبة او غير ذلك من الحركات النفسانية فلا بد ان يكون

هذا التغير عبارة عن تغير في العقل الالهي . وعلى هذا فان النفس البشرية ملقحة بلقاح سماوي الهي تعيش عليه ، وهي صورة مطابقة للنفس القدسية ، اي ان النفس البشرية والنفس الالهية شيء واحد ، او ان العقل الانساني والعقل الالهي شيء واحد . ومعنى ذلك ان الآراء او الافكار التي تقوم في العقل البشري تكون قائمة في العقل الالهي ، مع الفارق من ناحية الكمية فقط لا من ناحية الكيفية . وان العقلين يدركان الفكرة الواحدة نفسها ، ولكن العقل البشري لا يحيط بالفكرة بجميع علاقاتها المعقدة ، وانما يدرك منها ما يستطيع . والعلاقة القائمة بين الانسان في محدوديته والله في عدم محدوديته تساعد الانسان على كشف الحقائق النورانية وهي الافكار الكلية التي تكون موجودة في الكون قبل وجود العقل البشري. فالوجود والفكر ملتحمان معا ، على غرار قاعدة ديكارت في قوله : افكر فأنا موجود . والفكر من جهة ثانية يجمع بين الوجود الانساني والوجود الالهي ، ويكون الوجودان متطين معا . وهذا هو مبدأ الوجود Panthéism في راي باروخ سبينوزا (١٦٣٢ — ١٦٧٧) وفي راي لايبنتس (١٦٤٦ — ١٧١٦) .

وكان سبينوزا في بادىء الامر يدين بفكرة ديكارت في تقسيم الوجود الى جسم ونفس مع عامل آخر يجمع بينهما وهو الله . ولكنه انقلب على هذه الفكرة وقال بعدم وجود اله خالق للكون ، وان الطبيعة هي الله . وقال ايضا ان الافكار التي تقوم في الذهن عن الاشياء والاشياء نفسها خارج الذهن ما هي الا صفات لجوهر واحد هو الطبيعة وهذا هو مبدأ التطابق . وتبع المبدأ ايضا لايبنتس الذي كان يقول بوجود وحدات روحية مستقلة قائمة بذاتها تتألف منها جميع الاشياء المادية وجميع انواع الموجودات الحية ، اي ان هذه الوحدات الروحية التي اطلق عليها اسم Monads تأتي الى الوجود بأمر الله وتنتهي من الوجود بأمر الله . وقسم لايبنتس هذه الوحدات الى وحدات ذات شعور وهي النفوس ووحدات عديمة الشعور وهي الاجسام . ثم قسم النفوس الى نفوس عادية وعقول. فالنفوس العادية تحس وتشعر وتتذكر وتتخيل كنفوس الحيوانات . اما العقول فانها تزيد على النفوس العادية بأن لها عقلا تميز به . والنفوس العادية مرآة حية للموجودات المخلوقة في العالم ، في حين ان العقول هي ايضا صورة للحفرة الالهية ، وفي استطاعتها معرفة اسرار العالم . وهذا يمكنها من الاتصال والتآلف مع الحفرة الالهية ، وتكون في مجتمعها كدولة او مدينة عقلية تحت حكم حاكم في اسمى درجات الكمال وهو الله . وعلى هذا فكما يوجد توافق بين عالم الاجسام وعالم النفوس كذلك يوجد توافق بين مالك الملك المادي الآلي ومالك الملك العقلي .

وهذه المحاولات من جانب الفلاسفة للتوفيق بين العلم الحاصل في الذهن عن الاشياء في هذا الكون وبين الاشياء نفسها معناها في الحقيقة محاولات للتوفيق بين العلم والدين ، وكانت محاولة لايبنتس من هذا القبيل . بل ان هذه المحاولات بقيت مستمرة الى عهدنا الحاضر ، مع فارق واحد وهو ان رجال الدين وفلاسفته في الغرب تنكروا للعقل وقللوا من قيمته وانتقصوا من مقامه لما رأوا ان التوفيق بين العلم والدين امر يكاد يكون من المستحيل . وقبل ان انتقل الى هذه الحركة الجديدة المخالفة للعقل اريد ان آتي على ذكر محاولتين اخريين للتوفيق بين عالم الفكر وعالم الطبيعة المادية ، او بين النفس والجسم ، أو بين صور الاشياء في الذهن وحقيقة هذه الاشياء في خارج الذهن . فقد واجه الفيلسوف الالماني هيكل (١٧٧٠ — ١٨٣١) مشكلة عويصة في أبحاثه الدينية فاراد حلها بطريقة فلسفية . وتتلخص هذه المشكلة في ان الاوامر والنواهي الشديدة في العهد القديم من الكتاب المقدس تضع الانسان في موقف مقاوم لهذه الاوامر والنواهي بحكم طبيعته . فالتوتر النفساني في هذا الموقف بين الطاعة والعصيان مثال على التعارض الجدلي Dialectic في راي هيكل ، وهو الذي أوحى الى هيكل بالتفكير فيه وايجاد حل له . وكان الحل او التوفيق بين الطرفين المتعارضين عن طريق فكرة الحب المتجسد في المسيح . فالمسيح في راي هيكل هو وسيط التوفيق . ومن هنا جاءت فكرة هيكل في التوفيق Synthesis بين الطرفين الجدليين ، فاعتبر هذا التوفيق عاملا يؤثر في مجرى التاريخ كله ، بل هو روح التاريخ وبمثابة تجسد روحي كتجسد المسيح. ويلاحظ في هذا شبه كبير بفلسفات ديكارت ومالبرانش ولايبنتس التي كان من جملة ما عنيت به معرفة الكيفية التي يحدث فيها التفاعل بين النفس او الروح من جهة والمادة من جهة اخرى ، وكيف يمكن لشيء مادي ان يؤثر في شيء روحي او لشيء روحي ان يؤثر في شيء مادي مع وجود التضاد الذاتي بينهما . ومن الامثلة التاريخية الدينية على حل هذه المشكلة نظرية الكلمة Logos التي قال بها الفيلسوف فيلو Philo الاسكندري ، وكان في العصر الاول قبل الميلاد والعصر الاول بعده . وأساسها ان فيلو كان يرى ان الله فوق كل شيء في عالم الحدوث وانه فرد قائم بذاته ليس له صفات وهو عاقل ولكنه فوق كل عقل . فكيف يمكن للاله ، وهو على ما هو عليه ، ان تكون له علاقة مع عالم الحدوث وهو منزه عنه ؟ وجد فيلو حلا لذلك وهو ان يكون وسيط بين العالم والله ، وقال بوجود ستة وسطاء او قوى من جملتها (الكلمة) وهي الاقدم والافضل والجامع بين القوى الست . وهذه القوى في مجموعها تعبير عن الذات الالهية ، ولكنها في الوقت نفسه هي التي تخلق عالم الحدوث وتخلق لكل شيء مثالا كما في نظرية أفلاطون التي هي اساس هذه الافلاطونية المحدثة .

لندن

حسن الكرمي

لم يكن يذكر من حياته معها وهي تودعه في مطار باريس الا ما كان يداعبها به عندما تتيه عيناه في مياه عينيها الزرق :

ـ آمل ان تكون لي بنت لها مثل عينيك..

وكان يذكر الى ذلك جوابها المسكت :

ـ لن تكون لك بنت في مثل جمال عيني الا اذا كانت لك زوجة في مثل جمالي ...

ولم يكن هذا الاغراء الذي طالما التجأت اليه لوسيان ليقنع محمودا بان يتزوج من فتاة فرنسية ، ولو انه منحها قلبه واستأثرت بحبه طيلة مدة دراسته في باريس ، فقد كان يعتبر حبهما تجربة شباب لا يمكن ان ينجح اذا خرج من طور التجربة الى طور الحياة الدائمة المستمرة . وهو بعد لم يكن يؤمن بزواج الاجنبية لان فكرته عن الزواج كانت تختلف عن الفكرة التي قدمتها اليه لوسيان رغم انه كان يهيم بحبها ويعجب بجمالها .

وعاد محمود الى المغرب يحمل معه ذكرى عزيزة من عيني لوسيان ،ضاعت لوسيان من ذاكرته في خضم الحياة ، ولكن عينيها كانتا تطلان عليه دائما خلف سحب الحياة فكان يرى فيهما قوته على الاستمرار ، وأصبحت مداعبته للوسيان رغبة جارفة في نفسه :

ـ آمل ان تكون لي بنت لها مثل جمال عينيك .

وفكر في ان يتزوج . استعرض امامه الفتيات اللائي يعرفهن واللائي وقعن في طريقه ، وهام باحداهن ثم بأخرى ، ولكنه كان دائما يذكر جواب لوسيان :

ـ لن تكون لك بنت في مثل جمال عيني الا اذا كانت لك زوجة في مثل جمالي ...

وأوقفته الصدفة أخيرا على أبواب الجامعة، فكانت خمرية اللون فاتنة الملامح رشيقة القد، ولكن شيئا من ذلك لم يلفت نظره وانما اهتدى اليها من خلال عينين زرقاوين تسيلان عذوبة وجاذبية ، ولم تذب زرقة العينين في اللون الخمري ، وانما كانتا جوهرتين تلمعان في أفق اسمر كما تحتد زرقة السماء في الضوء الباهت .

وكانت « زهراء » خطيبته الحبيبة ، وجد فيها مثل ثقافة لوسيان ولكنه لم يجد حيوية لوسيان وحركتها الفكرية ، ووجد فيها مثل قابلية لوسيان للحياة ، ولكنه وجد حياة الفتاة المغربية ، وعفة عينيها وطهارة قلبها ، ووجد فيها روعة جمال لوسيان ، ولكن بنكهته الشرقية المغربية التي تجمع سمرة الشمس اليقظة الى زرقة السماء اللامعة .

وذكر قول لوسيان مرة ومرات وهو يتحدث الى زهراء ويسبح في مياه عينيها الحالمة :

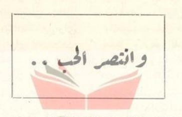
ـ لن تكون لك بنت في جمال عيني الا اذا كانت لك زوجة في مثل جمالي ...

ويكاد يلتهم زهراء بعينيه الفاحصتين وكأنه يجيب :

ـ أرأيت ..؟ : لي خطيبة اخذت منك اجمل ما فيك : عينيك ولكنها تفوقك صبى وجمالا وستكون لي بنت في مثل جمال عينيك؟

ويحس بلهب الشوق الى البنت التي تشبه لوسيان في جمال عينيها ، ولكن زهراء كانت مستعصمة :

ـ الى ان تكون لي زوجا عند الله والناس، واسرع بالزفاف ، فقد كانت زهراء لا تريد أن تمنحه نفسها بعد ان منحته قلبها الا بعد ان تحتفل العائلتان بهما عروسين شرعيين .



بقلم عبد الكريم غلاب

وجد في زهراء كل ما كان يريد ، ولم يجد فيها ما لم يكن معجبه في لوسيان .. كانت تشعر بانه الرجل الذي داعب احلامها منذ ادركت ان من الرجال من يداعب احلام الفتيات ، وكانت تحس بانه الانسان الذي يستطيع ان يحملها الى عالم الواقع بعد ان وجدت في الشعر والقصص والكتب كثيرا من عالم النظريات وعالم الخيال ، وكانت تقدر فيه انه الرجل الذي استطاع ان يملأ في نفسها مكان ابيها وامها وهي التي عاشت بين أحضان الامومة والأبوة لا تعرف سلطانا على نفسها غير سلطانهما،ولا تكن ودا وتقديرا وحبا لغيرهما ، ومنحته كل ما تملك من حب وتقدير وود ومنحها ، ولكنه كان دائما يتطلع الى صفاء عينيها فيهتف به الهاتف :

ـ اريد منك بنتا في مثل جمال عينيك...

وكانت زهراء تحس بوخز ضمير وهي تشعر



بانها استطاعت ان تمنحه كل شيء ، ولكن البنت التي لها مثل جمال عينيها ...؟

وأحس برغبته تصبح مطلبا ملحاحا لا ينساه الا ذكرته به العينان السابحتان في الملكوت الازرق ... وفكر :

أعطيتها كل شيء ، ولكني ما أزال مبخوس الحظ ... وما اريد منها غير تحقيق الحلم الذي ساورني قبل ان اعرف عينيها .

وكتم مشاعره فلم يرد ان يشعر زهراء بانه غير راض عن حياته ، ولكنه لم يكن ليخفي امله كلما تطلع الى العينين الصافيتين، وكانت تبتسم وهي تجيب :

ـ اني ادخرها لتكون ابهى جمالا واحلى منظرا .

ولم ينطفىء الامل ، فهو يعرف ان عمته لم تنجب الا بعد سنوات وكان يستمع اليها وهي تحكي قصة انتصارها بعد ان قرر زوجها ان يتخلص منها او يتزوج عليها .. قاومت.. ووعدت .. وامدتها العناية الالهية بالعون فافترت حياة الزوجين التعسين عن بنين وبنات ، ولم تطلق العمة ولم يتزوج عليها زوجها .

ولكن محمود لم يكن ليستنيم للاقدار ، فهو يؤمن بالعلم ، وهو يعرف ان زهراء لم تكن اقل منه ايمانا بالعلم ، ولم يجد غضاضة في ان يفضي اليها بوساوسه ، ولم تجد غضاضة في ان تفضي اليه . وهي لا تتهم نفسها ، فهي من عائلة لم تعرف العقم ، ولكنها لا تتهمه ، فهو مثال الرجولة عندها ، وشبابه وحيويته وايمانه بنفسه وبالمستقبل لا يترك كل ذلك في نفسها مجالا للشك في رجولته .

وأفضيا للطبيب ، والتمسا عنده العلاج ، ولم يكن ليوحي اليهما باليأس ، فهو حريص على ان يكون طبيبا مداويا ، يعيش بالطب ، ومع التطبيب الامل في الشفاء ، وهو حريص على الا يهدم سعادة عائلة يمكن ان تسعد بالحب ان لم تسعدها انانية الاستمرار وطبيعة الارث .

وعاش معهما الامل شهورا فعاما ، وعاشت الى جوار الامل مخاوف تطير النوم من عيني محمود ، وتصب الرعب في قلب زهراء ، ولكنه ـ وهو ينظر الى عينيها بأمل ـ لم يكن يفكر الا في الحب الذي استطاعت زهراء ان تنعش به حياته . وظل يحبها وظلت تحبه ، ولكنه لم يكن يصم آذانه عن الكلمات المعسولة تعبر بها امه عن الامل الطافح في قلبها والتي تجتاز كل الحواجز لتستقر في أذنيه :

ـ اريد ان ارى خلفي في ابنك قبل ان اموت ...

ـ مسكينة زهراء ... في حاجة الى دواء.

((اموت)) .. ((مسكينة)) .. كلمتان كانتا تقتلعان الامل من قلبه الطافح بالامل ، وكانتا تدنيان منه المستقبل بظلامه .. بانقطاع الرجاء في استمرار الحياة من بعده .

وكان يغض طرف اذنيه خلف ابتسامة يريد ان يجعلها مشرقة :

ـ في حياتك يا امي .. وبدعائك الصالح.

ولكن الكلمات لم تعد معسولة ، ولم تعد تنطق بها الشفتان الحبيبتان فحسب ، ولكنها اصبحت على كل لسان :

ـ وأنت يا محمود ..متى..؟

وتكشفت الكلمات عن الهدف :

ـ النساء غيرها كثير ..

ولم يعد محمود يعيش في ازمته منطويا على نفسه او مفضيا بوساوسه الى زهراء ، وانما أصبح يعيش في ازمته مع الناس . هم ان يطرد الازمة عنه ففكر :

ما لهؤلاء يقتحمون على الناس مشاكلهم الخاصة .. ؟ الخاصة ..؟ ولكنه استمرار العائلة وارث الاسم والجهد والعمل .. انه المستقبل .. لا يعيش في شخصي ، ولكنه يعيش في ابنائي من بعدي .. المستقبل ..؟ أنا الذي اصنع المستقبل فلم اعش في اسرة؟ يكفي ان آبائي واجدادي عاشوا في أسر هذا المستقبل : الخرافة .. الخرافة ..؟ أكنت انا نتاج خرافة عاشت في ضمير ابائي واجدادي .. ؟ ولكني مع ذلك احب ان أتمرد .. لم لا اتمرد على الخرافة حتى التي كنت نتاجها ؟ التاريخ سيذكرني وان لم يذكر واحدا من آبائي واجدادي .. اولئك ساروا سلفيين يحققون ما حققه الانسان منذ آدم ، فلم لا أكون ثوريا احقق ما لم يحققه احد من أسلافي ؟ أنا وزهراء نعيش حاضرنا ومستقبلنا .. وننهي معا خرافة الاستمرار التي عاش لها البشر كهدف تافه .. هدف يغلف شبقهم وشهوتهم الازلية .. انا وزهراء سنكون ذينيك اللذين صنعا جديدا في التاريخ : انهيا الاستمرار الابدي .

وانتشلته من تفكيره كلمة عاشت في ضميره قبل ان يعرف زهراء :

ـ أريد ان تكون لي بنت في مثل جمال عينيك ..

عادت به الكلمات من المستقبل الى الحاضر، فلم يكن يريدها للمستقبل بقدر ما كان يريدها للحاضر : بنت جميلة ذات عينين زرقاوين عاشت في ضميره سنوات قبل ان يعرف زهراء ، ولم تستطع زهراء ان تكون البنت الذي أراد ، رغم انه عب من مياه عينيها الزرقاوين حتى ارتوى ..

وظهرت اعراض الشقاء في افق محمود ، فقد لفته الدوامة والامواج تنقله الى الخضم الصاخب فيبتعد بقلبه واحساساته وعواطفه عن زهراء ويكاد يشير اليها من بعيد : الوداع ..

وتعود به الامواج الى الشاطىء الامين فيستدفىء بالحب ، وتحن عليه العينان الزرقاوان المخضلتانبدموع الالم وهما تناديان:

ـ عد .. عد الي كما كنت زوجا حبيبا .. فقد وجدت فيك الحاضر وانت مستقبلي .. قبلت التضحية من اجل حبك ، فهلا تخليت عن انانية ، خرافة ، خلقها الاولون ، وعاشوا في ظلالها .. أنا تخليت عنها من اجلك .. كنت اريده طفلا يضمن مستقبلي وأعيش فيه جيلا آخر ، او بنتا تحفو علي في شيخوختي .. ولكني قانعة بك ، فلم تتخل عني في شبابي ولم اتخل عنك ؟

ولفت محمودا الدوامة في عنف ، وتردد في سمعه :

ـ أريد ان ارى خلفي في ابنك قبل ان أموت ..

ـ النساء غيرها كثير .

ولكن القوة التي كانت تبعده عن زهراء هي نفس القوة التي كانت تشده اليها .

وعرفت زهراء الشقاء في البعد ، فقد كان يسافر ليبتعد عن مسرح المأساة ، حتى اذا غلبه الشوق عاد اليها .. وعرفت الشقاء في الثورة الغاضبة .. ولم تألف منه ثورة ولا غضبا حتى اذا ادركه الندم عاد كالحمل يهيم في العينين الزرقاوين وكأنه يراهما لاول مرة .. وعرفت الشقاء في كلام الناس فانتبذت بنفسها مكانا قصيا لتسلم من محاصرة كلام الناس وكأنها اتت امرا ادا يعز على الغفران.. ولكنها كانت على استعداد ان تتحمل كل ذلك في سبيل محمود .

وعادت الدوامة بمحمود الى البيت ثائرا غاضبا كما لم يثر من قبل ، كانت تنظر اليه فيزور عن عينيها المستعطفتين .. وكانت تتحدث اليه فيدوي صوتها الحنون كالرعد في أذنيه .. وكانت تقترب منه فيبتعد ، وكانت تلمسه فكانما تلسعه بنار تثير الخوف في كيانه .. كانت تود ان تملأ وجوده فكان يود ان تتركه للفراغ ، فقد أصبح يشقى بوجودها .

ولم تحتمل زهراء ، فقد ضغط محمود بشدة على اعصابها فانفجرت في وجهه باكية، ولم يكن بكاؤها نواحا ولا عويلا ، وانما كان انفجارا انبعث من العينين الجميلتين فاختفت زرقتهما الصافية وراء حمرة دامية ، وانبعث من الصوت المتهدج وقد اختفى حنانه وحنوه، ولم تشرق بدمع ولم يكتم صوتها الوجه العابس الثائر ، وانما انطلق منفجرا :

ـ محمود .. ما ذنبي يا محمود.. تزوجتك وكلي امل في طفل او طفلة تشعرني بانوثتي.. بكياني .. بوجودي ، تحفظ علي مستقبلي.. تمنحني اعتباري امام الناس .. ولكنك خيبت أملي .. رميتني في ظلال الوحدة واقفلت طريق المستقبل في وجهي .. وفتحت علي بابا رياحه عاتية ، لم يكن احد ـ من الذين يتحدثون عني ـ يستطيع ان يفتحه في وجهي .. ولكني تقبلت منك كل ذلك لاني احبك .. ولاني اضع فيك كل آمالي .. وأنت ابي وانت ابني .. انت حاضري وانت مستقبلي.. أنت وجودي ودنياي .. لا انافقك ، ولكني أعيد على مسمعك ما يؤمن به قلبك .. لو استمعت لقلبك لاهتديت ..

وهم محمود ان يتكلم ولكن الصوت المتهدج ارتفع قويا حتى ملأ كل آفاق محمود فخفض رأسه ، واستمر الصوت الجريح يهدر :

ما حدود مسؤوليتي وما حدود مسؤوليتك.. كلانا مجرم في حق البنت ذات العينين الزرقاوين التي تريدها .. انت وانا شريكان، وقد نفترق فتشقى واشقى ، ويكون ما بنيناه من عش جميلوما شدنا من حب هو الضحية.. اخلصت للعش واخلصت للحب ، لكن معاولك تكاد تعصف باخلاصي .. انا لا اكافح في سبيل شخصي ولا في سبيل الابن الذي اريد ، وانما اكافح في سبيل الحب الذي يجمع بيننا ، اكافح في سبيلك انت كما اكافح في سبيلي انا ، وسينهار كل ما أكافح في سبيله اذا لم نكن سعيدا بهذا الذي بيننا .. لا مستقبل لنا فلم نحطم حاضرنا ..

وخنقت الدموع الصوت المتهدج فاكبت زهراء على كفيها تدفن وجهها بين راحتيها ، وتهدل شعرها السبط فأسدل ستارا كثيفا على الوجه اللاهب الحزين ، ولم يعد هناك غير أنين صامت تردد صداه الغرفة التي نشر الحزن ظلاله بين جدرانها .

ورفع محمود عينيه وكأنما أزيح عنهما ستار كثيف كان يظللهما بالسواد وتطلع الى زهراء فلم ير منها غير تمثال بائس صنعته يد فنان متشائم ، ولم يطل به التفكير فقد كانت دموع زهراء كافية لاقناع فكره قبل عاطفته ، وطوق محمود زهراء بيدين حانيتين وهو يهمس :

ـ سامحيني يا زهرائي فقد دفنا مستقبلنا في حنايا حبنا .

الرباط ـ المغرب   عبد الكريم غلاب

سفح دمر

سير تحكى والحان تعاد ... للهوى ما حن من شوق فؤاد
يعذب اللحن اذا شف الجوى ... ومن الاشجان كان المستجاد
يجمح القول على فارسه ... ولسان الدمع كر وطراد
يؤثر القول على الدهر اذا ... كان للقول من القلب مداد
ويروع الوصف ما دام له ... من شرود الشعر للاوصاف زاد
تنجلي دون الربى في (دمر) ... فتن تعرى وآمال تشاد
وعلى السفح شواد بغمت ... من جوى والسفح لليل وساد
ضربت من دونه راتعة ... ظبيات من سجاياها العناد

* * *

لقيان الحور عند المنحنى ... وشوشات وحديث مستعاد
كشفت عن ساقها وانتظمت ... في صفوف مثلما اصطفت صعاد
وجرى النهر على اقدامها ... لينا سمحا وللموج انقياد
تجد الماء ترامى جاثيا ... كصريع الوجد اضواه السهاد
رق حتى خلته من سقم ... نفثات الشوق يذكيها البعاد
او كما دق شعاع ناحل ... في حواشي الافق يطويه السواد
واذا الفجر سرى في جدول ... عصف الموج لنجوى تستعاد
شعل تذكو على صفحته ... كمصابيح ولم يقدح زناد

* * *

نشر الصخر جناحي رحمة ... دون واديها ولم يبخل جماد
قام كالضيغم يحمي غيله ... من أذى الدهر وللدهر اضطهاد
صلع يرهب في روعته ... لم يجانبه على فقر فساد
تجد الماضي له من دونه ... مربع ياوي اليه ووساد
لبس الاحقاب في احداثها ... مئزرا في كل عين يستجاد
صلع اضفى على هامته ... هالة فيها لماضيه معاد
ملأ العين فاغضت رهبة ... من جلال وتولاها الرعاد
شاب من كر الليالي رأسه ... ومن الشيب وقار ورشاد

* * *

(بردى) لا تأتلي انغامه ... ملء سمع الدهر تروى وتعاد
تجد السفح على مزماره ... حن من وجد وللوجد اتقاد
بعث الغابر حيا فازدهت ... بالسمادير سفوح ووهاد
واذا الماضي كتاب جامع ... لمروءات وللجرح ضماد
مثل التاريخ في احداثه ... صفحات وضحايانا المداد
سير من (عبد شمس) لم تزل ... عذبة في كل سمع تستجاد
رددتها بخشوع أعصر ... ما انطوى فجر وما كر سواد

دمشق ... عدنان مردم بك

في اصول الادب المسرحي في العراق :

مسرحية لطيف وخوشابا

بقلم الدكتور صالح جواد الطعمة

* * *

لا تزال المسرحية العربية في العراق متخلفة عما بلغته من تقدم ، وحققته من ازدهار نسبي في عدد من الاقطار الشقيقة كمصر ولبنان لاسباب مختلفة اهمها ان العراق لم يشهد التفاعل الثقافي مع الغرب الا في مرحلة متأخرة ، وقد سار هذا التفاعل سيرا بطيئا غير منظم بعكس السياسة المقصودة التي اتبعت في مصر مثلا خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين في محاكاة الغرب في مجالات متباينة لا سيما في مجال الحركة الفنية ، يضاف الى ذلك ان البيئة الاجتماعية في العراق ـ بخلاف البيئة في لبنان ومصر ـ كانت اقل استعدادا لقبول «التمثيل» او اقل حماسة في الاقبال عليه ، وان الجهات المسؤولة فيه كانت تعمد الى خلق العقبات في طريق المسرح بدلا من الاسهام في تطوره لخوفها مما يقوم به من دور في نشر الوعي المناويء لسياستها .

وكان من نتائج هذا التخلف ظاهرتان : الاولى الاهمال الذي يلاقيه النتاج المسرحي العراقي على ايدي المعنيين من الباحثين بشؤون المسرحية العربية ، فلا تجد في معظم ابحاثهم اشارة اليه او تقييما له ، والاخرى طمس جذور المسرح او بوادره في العراق في القرن التاسع عشر مما ادى الى الاعتقاد الخاطيء ، كما بين الدكتور علي الزبيدي (١) ، بأن المسرحية لم تدخل حياتنا المعاصرة الا بعد قيام الحكم الوطني عام ١٩٢١ ، فيذكر « ان اول مسرحية الفها عراقي ومثلها عراقيون هي مسرحية « وحيدة » للمرحوم موسى الشابندر التي كتبت عام ١٩٢٨ او ١٩٢٩ وطبعت في بغداد سنة ١٩٣٠ » (٢) ، او يقال بأن اولى المحاولات للقيام بعرض مسرحي جدي جرت زمن الثورة العراقية او حوالى سنة ١٩١٩ حين مثلت مسرحية «النعمان بن المنذر» في بغداد (٣).

ويعني هذا ان المسرحية لم تصل العراق الا بعد مرور قرن او ما يزيد عن نصف قرن من تاريخ ظهورها في لبنان وسوريا ومصر ، وهو ما يدعو الى الاستغراب والشك نظرا لان العراق لم يكن منعزلا تمام الانعزال عن التيارات الثقافية او الفنية في الاقطار المجاورة كتركيا ولبنان ، ومن المحتمل ان بعض ابنائه من الذين زاروا هذه الاقطار قد وقفوا على النشاط التمثيلي ، وتأثروا به ، وحاولوا تجربته عند عودتهم ، لا سيما في المدن التي يقيم فيها ابناء الجالية التركية ، او الطائفة المسيحية (٤) .

وقد اثارت هذه الاسباب وغيرها اهتماما جديدا بأصول المسرحية في القرن التاسع عشر فكتب «الزبيدي» بحثا اعلن فيه عن اهتدائه الى مسرحية عراقية نشرت عام ١٨٩٣ بعنوان «لطيف وخوشابا» لمؤلفها نعوم فتح‌الله سحار (المتوفي عام ١٩٠٠) ولكنه لم يستطع العثور على نسخة منها مما جعله يستعين ببعض الرواة في تلخيصها تلخيصا لا يتفق ، كما سنرى ، والنص المطبوع ، فذكر انها الفت باللغة الدارجة ، وان موضوعها كان غراميا اجتماعيا «فقد احب لطيف خوشابه واحبته وصمما على الزواج فاصطدما بصعوبات ومشاكل مبعثها الفوارق الاجتماعية والخلافات بين عائلة الشابين العاشقين ولكن لطيف وخوشابه اصرا على الزواج وتغلبا على الدسائس التي استهدفت الايقاع بينهما ثم تزوجا في النهاية (٥) » .

والمسرحية اولا لا تمت بأية صلة الى موضوع الغرام ، او الزواج ، وان كانت تعالج جوانب اجتماعية اخرى ، وليس بين اشخاصها « امرأة » وما «خوشابا » ـ الذي ظنه بعض الرواة «امرأة» ـ الا احد الفلاحين ، وقد كانت امه مرضعة «لطيف» ، وهي ثانيا ترجمة او تعريب لمسرحية فرنسية كما ورد في غلاف الكتاب ومقدمته وقد ذكر عنوانها Fanfan et Colas من غير اشارة الى مؤلفها . اما لغة المسرحية فليست في الحقيقة «لغة دارجة » او « عامية » بل تمثل محاولة للجمع بين الفصحى المبسطة والعامية المستحدثة في منطقة الموصل .

وتقع المسرحية في نصها العربي في (٨٣) صفحة ، وقد طبعت في مطبعة الآباء الدومنكيين (الموصل) سنة ١٨٩٣ ، ولا شك انها كانت موضع بحث لدى بعض الكتاب او النقاد في ذلك العهد ، فنحن نقرأ عن مؤلفها او مترجمها « نعوم فتح‌الله سحار» انه كان احد معلمي مدرسة الآباء الدومنكيين بالموصل ، وكان ذا نشاط ملحوظ في حقل التمثيل ، او على الاقل مسؤولا عن تنشيط اعمال التمثيل على مسرح المدرسة المذكورة ، ويذكر له « سركيس » عددا من المؤلفات بينها مسرحية «لطيف وخوشابا » (٦) . اما كيف اهتدى الى المسرحية المذكورة ، او الى مؤلفها او لماذا اختارها لتقديمها على المسرح في الموصل ، فتلك امور قد تدعو الى التساؤل ، وليس من اليسير البت فيه ما لم تتيسر لدينا معلومات اخرى . فالمؤلف الفرنسي المعروف بمدام ديبنوار (١٧٤٦ ـ ١٨٢٣) (٧) ليس من اعلام المسرح الفرنسي المعروفين خارج فرنسا ان قورن بأمثال «موليير» و «راسين» ، او من الذين ترجمت لهم بعض الاعمال الى العربية في القرن التاسع عشر (١٨) ، وهو الى جانب ذلك ـ ان قارناه بميول المترجم الدينية ـ عرف بموقفه المناويء لسلطة الكنيسة ، لانه ـ عند نشره مسرحيته

الاولى (١٧٧٧) – تعرض الى سخط مطران باريس ، لاحتوائها على اغنية مخلة بالآداب ، فطلب اليه ان يتبرأ منها ، او يترك الخدمة الدينية فآثر الانسحاب ، وبدأ يكتب تحت اسمه «مدام ديبنوار » (٩) .

ومهما يكن العامل الذي دفع المؤلف العراقي الى اختيار هذه المسرحية ، فانه على الاقل كان متأثرا بهدفها او طابعها الاجتماعي ، وغلب الظن انه وجدها تعالج مشكلة مألوفة في زمانه وبيئته ، وهي مشكلة العلاقة الاجتماعية بين الفلاحين واسيادهم ، كما سنوضح ذلك بعد قليل .

المسرحية ذات فصل واحد مجزء الى مناظر قصيرة بلغت « ٢٤ » منظرا ، وهي تبدأ بمقدمة مختصرة تحدد هدف المسرحية او مضمونها نذكر نصها لما لها من قيمة تاريخية : « ان مضمون هذه الرواية الادبية هو اولا حث الوالدين كي يحسنوا تربية اولادهم ولا يتركوهم ان يفعلوا بحسب هواهم وارادتهم مهما كانوا اعزاء عليهم ومحبوبين منهم بل يجدر بهم أن يردعوهم عن الشر ويقاصصوهم عندما يصدر منهم نقيصة . وثانيا يعلمنا مضمون هذه الرواية الصفح عما الحقه بنا الغير من الضرر والاساءة وخصوصا ان نشفق عليهم عند مشاهدتنا اياهم حاصلين في حالة الحزن والشدة .

وكانت هذه الرواية معنونة بأصلها الفرنسي بعنوان «Fanfan et Colas» فدعوتها برواية « لطيف وخوشابا » مثلما بدلت أسماء بقية المشخصين واجتهدت باستخراجها الى اللغة العربية البسيطة رجاء ان يفهمها الجميع . وجعلت محاورة بتو وخوشابا ابنه وبحو الفلاحين بالعربية المفسودة التي يستعملها القرويون القاطنون في كردستان عند تكلمهم بهذه اللغة » (١٠) .

ونرى من هذه المقدمة ان المؤلف العراقي يعالج مشكلة الحوار بطريقة مماثلة لمعالجة رائد المسرح العربي مارون نقاش الذي لجأ الى اللهجة العامية او العادات اللغوية التي يتميز بها بعض اشخاص مسرحيته « البخيل » كوسيلة يستعين بها على تحديد شخصيتهم او التعبير عنها ، فأم ريشا تتكلم بلغة تناسب مكانتها الاجتماعية كخادمة ، وعيسى يتميز بلهجته المصرية ولغة غالي ونادر مزيج من التركية والعربية (١١) .

وسواء كان المؤلف العراقي على علم بما حاوله « مارون نقاش » ام لم يكن فانه لم يجد حلا افضل من الجمع بين لغة فصحى مبسطة او تكاد تكون فصيحة في تركيبها العام، يستخدمها على السنة المتعلمين من اشخاص المسرحية ، وعامية موصلية على السنة الخدم والفلاحين .

ومن يتأمل بدقة لغة الحوار يلاحظ ان المؤلف يلجأ غالبا الى اقحام خصائص العامية في حوار المتعلمين او بعض خصائص الفصحى كالاعراب في حوار الخدم او الفلاحين ففي كلام المؤدب « ميخائيل » : « والى الان ما قدرت ان اجني من هذه اتعابي كلها ادنى ثمرة ، سوى انه يحتقر كل شيء ويهين تعاليمي نفسها فكيف يمكن ان اقيم هنا بعد ازيد ؟ » – ص ٩ – نلاحظ محاولة لاضفاء تركيب فصيح على تعبيرات عامية عراقية كـ «بعد ازيد» ، كما نلمح في كلام الخادم «سموعي» ص ٢٥ «لا احد يخاف من هذه القساوة . راينا كثير' مثلها» استعمالا عاميا في قالب فصيح . وهناك امثلة كثيرة في المسرحية تدل على ان الحل الذي اختاره «سحار» كحل مارون نقاش من قبله ، او فرح انطون او ميخائيل نعيمه من بعده (١٢) ، لم يسهم في حل مشكلة الثنائية اللغوية ، بل ادى الى تعقيدها ، وارتباك لغة الحوار بسبب الانتقال من الفصحى الى العامية ، وعدم التزام الاشخاص باللغة التي اختارها لهم المؤلف .

واذا انتقلنا الى محتوى المسرحية لوجدنا انها في الحقيقة تعنى بمشكلة التمييز الاجتماعي او الطبقي غير العادل ، وتكشف عن تذمر الطبقة المستغلة وشروعها بالتمرد من أجل كرامتها ، وذلك عن طريق المقارنة بين سلوك «لطيف» وابيه «يوسف» الثري ممثلين الارستقراطية وسلوك كل من المعلم ميخائيل مؤدب «لطيف» ،و «منصور» وكيل ابيه ، و «بحو» البستاني ، و «سموعي» الخادم ، و«بتو» الفلاح،زوج مرضعة «لطيف» وابنه «خوشابا» (١٣) وتبدأ المسرحية بحوار بين يوسف بك والمؤدب يعلن فيه

---

(١) علي الزبيدي : «المسرحية العربية في العراق في العهد العثماني» مجلة الاقلام (مارس ١٩٦٥) ص ٤٦ . (٢) المصدر السابق ص ٤٦ . (٣) احمد فياض المفرجي : الحركة المسرحية في العراق (بغداد : ١٩٦٥) ص ١٥ ، ص ١٩ . (٤) راجع مقالة الزبيدي للوقوف على هذه الاسباب وغيرها . ص ٤٦ – ٤٧ . (٥) مقالة الزبيدي ص ٤٨ . (٦) يوسف اليان سركيس معجم المطبوعات العربية والمعربة – (القاهرة : ١٩٢٨) جدول ١٨٦١ / ١٨٦٢ ، وراجع الفقرة الخاصة بالمسرحية المذكورة في :

London, J. Studies in Arabic Theatre and Cinema (Phil.: 1958) P. 260

حيث تجد اشارة الى ان المسرحية مقتبسة من الفرنسية ، وموضوعة بالعامية العراقية . (٧) اسمه الحقيقي

Alexandre Lois Bertrand Robineau

(٩) لمعلومات اضافية عن المؤلف الفرنسي راجع :

Bibliothèque nationale IX (Paris : 1849) PP. 542-547, La Grande Encyclopedie (Paris : 1886 - 1902) V P. 1056, Grente, C.G. etal.

Dictionnaire des Lettres Françaises 18e siecle Vol. I PP 161-162 (Paris: 1960),

Larousse, P. Grand Dict. Universal (19e siècle) (Paris 1867) P. 445

Quérad, J. La france litteraire Vol. I (Paris: 1827) P. 242

(٨) لقد اعتمدت في هذا الرأي على رجوعي الى مصادر غير قليلة تتناول المسرح العربي او الترجمة في القرن التاسع عشر ، بينها : محمد يوسف نجم : المسرحية في الادب العربي الحديث (بيروت ، ١٩٥٦)

الثاني غيظه على سوء تصرف «لطيف» ، واحساسه بضياع جهوده في توجيهه ، وبأن وظيفته اصبحت محتقرة في مجتمعه ، ويهدد بانسحابه من عمله :

« المؤدب : (اول ما يجر الستر يقول المؤدب مغتاظا) كلا يا يوسف بك ، أنا ما عدت ابقى هنا ولا يوما بعد هذا .

يوسف بك : ولكن يا مؤدب افندي اما تهمد طبعك ، وتسكن روعك ؟

المؤدب : غير ممكن احتمل اكثر من هذا .

يوسف بك : لماذا ؟ انا لا ارى شيئا يوجب ذلك .

المؤدب : انا بالعكس ارى ان كل اعتنائي واتعابي مع ابنك الخواجه لطيف تذهب هدرا ودرا . والى الان ما قدرت ان اجني من هذه اتعابي كلها ادنى ثمرة سوى انه يحتقر كل شيء ويهين تعاليمي نفسها فكيف يمكن ان اقيم هنا بعد ازيد ؟

يوسف بك : ولكن اصبر بعد قليلا وانا اوكد لك ...

المؤدب : كلا انا ما عدت أصبر اكثر من هذا . لاني اعلم بأن ما طمعه بي الا كثرة استعمالي الصبر معه . قل لي انا اي شرف يصيبني من تعليمه وتأديبه ؟ اني لا انكر بان وظيفة المؤدب هي اشرف الوظائف ، غير اني لسوء الحظ ارى اليوم بأن هذه الوظيفة اصبحت هنا عندنا في فرنسا ادنى الجميع .» (١٤) .

وتستمر المسرحية بعرض نماذج من سلوك «لطيف» تجاه بقية الاشخاص ، فالخادم يروي اعتداء «لطيف» عليه (ص ١١–١٢) والبستاني «بحو» (١٣–٢١) بطل في الاعراب عن شكواه من استهتار «لطيف» وعبثه المستمر بالبستان ، ويذكر انه لم يعد قادرا على الاستمرار في عمله ، فيطلب الى «يوسف بك» تصفية حسابه لانهاء علاقته به ، غير انه يتراجع عن هذا التهديد بعد ان يعده «يوسف» بوضع حد لاساءة ابنه ، ثم يأتي دور «منصور» الوكيل فيشير الى جوانب شريرة اخرى في سلوك «لطيف» مهددا بأن الحل الوحيد الذي يجد فيه خلاصه هو ان يترك العمل ، وعندما يسأله سيده من سبب عدم اخباره من قبل ، عن اعمال ابنه ، يذكر بأنه فعل ذلك مرات عدة ولكنه تلقى ، بسبب شكواه توبيخا بعد توبيخ (ص ٢٣–٢٥) ، فيتظاهر «يوسف بك» هذه المرة بالغضب على ابنه ، واستعداده لتأديبه ولكن نفهم على لسان خادمه الساخر بأن هذا التظاهر ليس بشيء جديد (ص ٢٥) « لا احد يخاف من هذه القساوة راينا كثيرا مثلها »

وسرعان ما يتحقق زيف هذا التظاهر بعد حضور ابنه الذي يتحايل في الدفاع عن نفسه ، والقاء اللوم على غيره ، مستثيرا عاطفة الابوة ، ويوفق في اقناع أبيه بأنه بريء ، فيثور «يوسف» معلنا نقمته على مستخدميه لانهم اساءوا الى ابنه ، واتهموه تهما باطلة ، ويطلب اليهم ان يعتذروا الى «لطيف» والا فنصيبهم الطرد ، وعندئذ نجدهم يستسلمون الى طلبه بشيء من الهزء او السخرية بعدالة يوسف .

ويمثل يوسف بك ، في المسرحية ، الارستقراطي القلق ، الذي يجمع في نظرته للناس والحياة مشاعر او مفاهيم متضاربة ، ويبدو متأرجحا بين العامل العقلي الذي يجعله يؤمن في قرارة نفسه بأن الناس سواسية ،والعامل العاطفي او الذاتي الذي يدفعه الى ان يغض النظر عن عيوب الارستقراطي الشرير المتمثل في ابنه ، ولهذا فهو يظهر بمظهرين متناقضين : يبدي في احدهما تحيزه لابنه، وفي الاخر نجده يطلب الى ابنه ان يعامل مستخدميه بوداعة لانهم اناس مثله (ص ٣٣) ، وهو لا يصرح بذلك الا عند انصراف المستخدمين ، اما لطيف فيتمادى في غيه مستنكرا ان يكونوا اناسا مثله ، فيدور الحوار التالي بين المؤدب ولطيف وابيه : (ص ٣٣–٣٤) .

المؤدب : نعم يا خواجه انهم مثلك ، ما عندهم اموال ولكن اعلم انه يوجد غالبا تحت ثياب دنية عتيقة فضائل اكثر مما يوجد تحت الذهب والحرير .

لطيف (مستهزيا) : ان مؤدبي العزيز يتكلم مثل فيلسوف

جاك تاجر : حركة الترجمة بمصر (القاهرة ، بلا تاريخ) جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي (القاهرة ١٩٥١) والمراجع الاخرى المشار اليها في هذه المقالة . (١٠) راجع لطيف وخوشابا ص ٥ . (١١) مارون نقاش : ارزة لبنان (بيروت : ١٨٦٩) ص ٩١ . (١٢) حاول انطون فرح في مسرحيته « مصر الجديدة» (١٩١٣) ان يستخدم الفصحى في حوار اشخاص الطبقة العليا ،والعامية في حوار الطبقة الدنيا . راجع نجم : المسرحية ص ٤١٣ – ٤١٤ . واتبع « نعيمة » حلا مماثلا في مسرحيته الاباء والبنون (١٩١٧). الطبعة الرابعة – بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٦ – ١٧ . (١٣) هذه هي الاسماء التي استعملها «سحار» بدلا من الاسماء الفرنسية ، وهي تمثل جميع اشخاصها ، غير ان تغيير الاسماء لم يرفقه تغيير شامل لجو المسرحية فظل يوسف بك يمثل « احد متمولي فرنسا » والمؤدب يتحدث عن المجتمع الفرنسي ، وفي المسرحية ملامح اخرى ، لا تتناسب والجو العراقي او العربي . (١٤) لطيف وخوشابا ص ٧–٨ . (١٥) اي أليس كذلك يا ابي ؟ (١٦) هذا الدفاع عن كرامة الفلاحين والتأكيد على مبدأ المساواة بين الناس يتكرران في مواضع مختلفة كقول البستاني «ليش انا ما ابن اوادم؟» ص ١٧ ، او قول بتو : « تعال نرجع للضيعة ... يلا بالضيعة ما يحتقرون الفقرا... هوني ما آكو صداقة .. ما يعرفون قدر النيس ، وما يحسبون كل الاوادم سوى .. » ص ٤٣ . او رأي المؤدب على لسان لطيف «ان الناس الذين يستحقون غاية الاكرام هم الذين يفلحون الارض » ص ٢٨ . (١٧) نموذج لاستعماله القالب الشعري نذكر هذا الانشاد الختامي ص ٨٢ – ٨٣ :

المؤدب : يا هنيا يا مريا انا بلغنا المرام
انا الان اصبحنا اسعد كل الانام
يوسف بك : يا الهي يا الهي لك الحمد والثناء
انا الان أصبحت اسعد كل الآباء
بتو : ايكا انا اشقد يفرح يا لطيف يا خوجات
انا هر دائم يجيب لك بقلاوات بقلاوات

حبيبة همي

هواها معي ام لا فاني مغرم
وكلي بكل الجحد منها متيم
شجاني على الاحلام سؤل مخيب
ونجواي بالخيبات والسؤل تحلم
حنيني الى اللوعات والدفء مدنف
واطرب ذكراها وبؤسي منغم
اثور عليها بانعطافي وان قسا
فؤادي فاغلى من فؤادي احطم
ندائي الى النشوات ان لوني المنى
ليفرحنها والرجع عندي معتم
حبيبة همي استزيد هناوة
اذا تستطيب آلاه مني وتظلم
تمد بتعذيبي فتحلو متاعبي
وأهوى صدى اخلافها حين احرم
يرافقها صفحي واشقى رحابة
ويعرو بكائي في الاطابيب مبهم
هواي وما طاب الهيام اذا رنت
الي مواعيدي ولا أنا معدم

جورج رجي

.. ما تمام يا ابي ؟ (١٥).

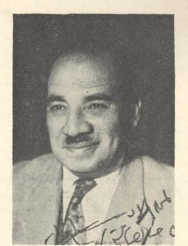
يوسف بك : اسمع كلامه يا ابني ان كنت تحبني ، استفد من تعاليمه ومشوراته الحكيمة . انك مديون له اكثر مما مديون لي.نعم ، انا صرت سبب حياتك ، ومني تحصل على القوت والكسوة ولكن هو يحرضك على الفضيلة ويلقنك المعارف والعلوم فأنا اسلم بين يديه كل سلطاني عليك وكل حقوقي . احببه مثل ابيك لانه هو ايضا مثلي ما يريد الا سعادتك . »

غير ان هذه النصائح تذهب سدى ، ويستمر الصراع بين «لطيف» الذي يستهين بقيم العلم والعدل والمساواة ، فلا يتورع من ان يقول لمؤدبه بأن العلم لا قيمة له ـ ان قورن بالمال والجاه ـ فهو لم يرفع من مكانة المؤدب الاجتماعية ، وهو لا يتردد في ان يهين رضيعه «خوشابا» عندما يزوره برفقة ابيه الفلاح «بتو» ، يحمل الحلوى هدية له ، فيتقبلها بشيء من الازدراء ، ويحاول ان يعطيه بعض ماله ، فيعتبر «خوشابا» ذلك اهانة له ويرفض عطاءه الا انه يكره على قبوله بعد الحاح يوسف بك ، ويتكرر بعد لحظات منظر مألوف في سير المسرحية يطلب فيه«خوشابا» الى ابيه ان يغادرا المكان لانه لا يطيق ما يسمعه «لطيف» من عبارات الاهانة والاحتقار ، فيشاركه الاب غضبه ويقول : «نحنا تمام فلاحين لكن عندنا نفس..عندنا قلب نظيف.. ما مثل قلب لطيف الخائن ... ابدا ماكو سعادة للناس المتكبرين .. » (١٦) ص ٤٤ . فيضطر «يوسف بك» الى قبول حل يقترحه عليه المؤدب يراد منه ان يلزم «لطيف» بأن يجرب حياة الفلاحين ، كفلاح مثلهم ، ليقوم سلوكه ، ويشاركهم احساسهم بكرامتهم وانسانيتهم « اذ ما يوجد (حسب قول المؤدب) الا الحزن والتجربة يقدران ان يصلحا طبعه ويجعلاه حليما وديعا وما احد يحزن على حزن القريب ويرثي لحاله ان لم يكن قد ذاق هو قبلا طعم الحزن والمرائر .. » ص ٤٦ ، فيوحي له بأنه في الحقيقة ما هو الا ابن « بتو » الفلاح ، وان خوشابا هو الولد الحقيقي ليوسف بك ، وقد حصل سهو في تحديد هويتهما خلال فترة الرضاعة المشتركة ، فيرفض اول الامر ان يصدق هذا الواقع المؤلم ، ولكنه يتقبله بتأثير قصة كان قد قراها مع المؤدب حول موضوع مماثل ، ويدرك اخيرا انه لم يعد صاحب مال وجاه ، وان اعتماده على امواله كان عبثا ، ويلمس بنفسه طيبة الناس الاخرين الذين كان يعاملهم معاملة فظة ، ويدهش لحسن معاملتهم له ، فيحس بعذاب الضمير ، ويتهيأ للرحيل مصمما على ان يساعد اباه الفلاح ، ويطلب اليهم الصفح عن مساوئه . وهنا يتضح ان الهدف من الحل قد تحقق،وان «لطيف» المغرور بجاهه وثروته قد اتعظ واعتبر ، ولذلك يفاجأ مرة اخرى بأنه لا يزال ابن يوسف فيسر ويعد اباه بتجنب ما يسيء الى سواه ، وتنتهي المسرحية بعد انشاد يشترك فيه بقية الاشخاص معربين فيه عن بهجتهم بعودة الامور الى مجاريها الطبيعية .

وليس من شك في ان المسرحية ـ كما توضحها الخطوط العامة التي رسمناها ـ تمثل نموذجا من نماذج الملهاة او المسرحية الاجتماعية السائدة في العالم العربي في تلك الفترة (اي اواخر القرن التاسع عشر) واذا كان « سحار » لم يوفق توفيقا تاما في تخليصها من اسماء او اشارات ترتبط بالبيئة الفرنسية (كقصة «اليون» الفرنسي) واشارة البستاني بحو الى لوسيفوروس كرمز الشر وكالامثلة الاخرى التي ذكرناها من قبل) فانه حاول ان يسبغها بطابع محلي معتمدا على خصائص العامية الموصلية ، والامثال الشعبية المألوفة ، وقد وفق الى حد كبير في تفضيله اسلوب «النثر» المرسل غير المتكلف ولكنه لم يعرض عن محاكاة «القالب الشعري» في مناسبات قليلة تتطلب الانشاد وجاءت محاولاته مشوهة فاشلة ، وان كان لم يسرف اسراف كتاب آخرين سبقوه في استعمال السجع او الشعر (١٧) .

ومهما كان حكمنا على مسرحية «لطيف وخوشابا» فانها لا تفقد قيمتها التاريخية ، في القاء الضوء على النشاط الفني المجهول في العراق ، وناحية مهمة من نواحي المسرح العربي في القرن التاسع عشر .

صالح جواد الطعمة
امريكا ـ جامعة انديانا



انـور الجندي

تجربة العمل الادبي

بقلـم انور الجنـدي

* * *

تكشف تجربة العمل الادبي عن كثير من المشقة والمعاناة ، فليست هي من اليسر بحيث يمكن ان يقال انها قدرة على الصياغة او بناء للدراسة ذلك ان هذا وحده ليس هو العمل في الحقيقة ، وانما هو الصورة النهائية له .

ان الحقل الادبي ليس مفتوحا على النحو الذي يحقق العمل ببساطة ، وبالرغم من كل ما قدم من دراسات فان هناك جوانب ما تزال غامضة ، ومعقدة ، وفي حاجة الى مجهود ضخم للكشف عنها ، ذلك ان اغلب الاعمال الادبية والفكرية قد بدات على ايدي اصحابها دراسات او كلمات نشرت في الصحف ثم استطاع عدد قليل من الكتاب جمع اثارهم ، وابرازها على هيئة مؤلفات او كتب او دراسات ، حتى انه يمكن القول بان اثار اغلب الكتاب الكبار امثال : طه حسين والعقاد والمازني والزيات وجبران وميخائيل نعيمة وهيكل وسلامة موسى قد بدات في هيئة مقالات نشرت في الصحف والمجلات ثم جمعت في كتب ، ولذلك امكن لبعض الباحثين ان يقول ان ادب الثلاثينات وما بعدها كان ادب مقالات مجمعة، وربما امتدت هذه الظاهرة الى اليوم ، وانه فيما عدا الدراسات الجامعية والرسائل الاكاديمية فان كل اثارنا الادبية مقالات مجمعة ، وان كان بعض الكتاب قد استطاع في ذكاء ان يربط بين هذه المقالات المنوعة وان يبرزها في وحدة وانسجام ، وان بعضهم الاخر عجز عن هذه المحاولة .

وهذا راي قريب من الحق فيما اعتقد عن تجربة ، وهو موصلي الى الحقيقة التي اردنا ان نكشف عنها ، بانه فيما سوى عشرة او عشرين او ثلاثين من الكتاب على الاكثر جمعوا اثارهم ، فان هذه الاثار ما تزال مدفونة في بطون الصحف والمجلات ، وان في هذه المرحلة التي انتعشت فيها المقالة الادبية والسياسية والاجتماعية يمكن ان يقال انه في خلال ستين عاما (تقريبا) ١٨٧١ – ١٩٣٩ باستثناء فترة الحرب العالمية الاولى عندما توقفت الصحف او تقلصت ، فانه قد كتب ما لا يقل عن مائتي كاتب ممن لم تجمع احد منهم اثاره ، وان كل كاتب من هؤلاء قد كتب في عشرة موضوعات منوعة على الاقل ، واننا اذ ذاك امام حصيلة لا حد لها تضم الفي بحث او الفي كتاب .

هذا بالاضافة الى عشرات الكتب الملخصة ، والمترجمة، وذلك باستثناء المقالات الصحفية او السياسية ذات الموضوع المحدود او مقال الساعة او الفكرة العارضة .

واذا ظن بعض المراجعين ان في ذلك شيء من المبالغة فاني اذكر ان هناك اكثر من خمسين كاتبا قد كتبوا خلال سنوات بلفت الثلاثين ، كل يوم ، امثال داود بركات وعبد القادر حمزه ، وهيكل ، والعقاد ، وطه حسين ، وخليل ثابت ، وحافظ عوض ، وعباس حافظ ، واحمد وفيق ، ومحمد مسعود ، وسيد علي ، ومحمود عزمي واحمد نجيب ، واذا اردنا ان نجتزي بمثال واحد او اثنين قلنا مثلا ان داود بركات رئس تحرير الاهرام ٤٠ عاما ،ونفترض انه كتب افتتاحية الاهرام ٣٠ عاما فقط فماذا نجد ، نجد انه كتب ١٠٩٨٠ مقالا ، وهناك مثال العقاد او طه حسين او المازني او هيكل فقد كتب هؤلاء منذ ١٩٢١ الى ١٩٣٦ لهيكل ، و ١٩٤٩ للمازني و ١٩٥٤ للعقاد (كتابة يومية) فاذا اخذنا بالاقل وجدنا ان هناك ٩٨٠٠ مقال لكل منهم ، ضاعت في بطون الصحف وهي غير المقالات الادبية التي جمعت .

وبعد هذا الاستطراد نعود لنقول ان صحفا كالمقطم واللواء والمؤيد والاهرام والسياسة والمنبر وكوكب الشرق والوادي والبلاغ والجريدة ، ومجلات كالمنار والضياء والهلال والمقتطف والجوائب والزهور والبيان والجامعة والعصور والمشرق والزهراء والسياسة الاسبوعية والعصور وابولو والفجر والنهضة الفكرية والمجلة الجديدة والرسالة والثقافة قد اعطت محصولا ضخما لا حد لضخامته من الابحاث والدراسات المنثورة المضيعة ، ولذلك فان مجال العمل الادبي الحقيقي هو فيما اعتقد ، في هذا التراث القريب ، للكشف عن حقائق التطور الادبي والفكري والثقافي والاجتماعي في العالم العربي ، وان جلاء هذه الحقائق مرتبط الى حد كبير باستخراج هذه الاثار التي حاولت ان اصور اهميتها وخطورتها .

ومن هنا فان تجربة العمل الادبي – كما قلت – تكشف

عن كثير من المشقة والمعاناة ، لمن يريد ان يرسم صورة كاملة او قريبة من الكمال للفكر العربي المعاصر في جوانبه المختلفة (الادب ، التاريخ ، الاجتماع ، الدين ، السياسة ، الاقتصاد) فليس هناك فهارس كاملة لهذه الصحف والمجلات ، وليس من اليسير ان يراجع الباحث في موضوع واحد كل هذه الصحف والمجلات .

هذا جانب من تجربة « العمل الادبي » ، اما التجربة الاخرى فهي في مجال دراسة اعلام الفكر العربي المعاصر ، فان كتابة التراجم فن يحتاج الى حصيلة ضخمة من الخامات التي تمكن من فهم نفسية الشخصية التي تدرس اثارها واعمالها . وهناك بضع عشر شخصية في العالم العربي ما زالت هي التي تستأثر بكتابات الكتاب وقد صدر عن كل واحد منها كتاب وخمسة وعشرة ، مثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وقاسم امين وشوقي وجبران ورفاعة ومي ولطفي السيد وطه حسين والعقاد والمنفلوطي .

اما باقي شخصيات فكرنا العربي المعاصر ، وفيهم من هو اعمق اثرا ، فان الكتاب يتحامونها مع تقديرهم لفضلها واثرها ، اما السبب فهو ان المادة الخام الموجودة عنهم قليلة ، وذلك حق اذا كانت هذه المادة هي الموجودة في الكتب المؤلفة ، اما في مجال الدوريات وفي بطون الصحف والمجلات فان المادة ضخمة وكثيرة ولكنها في حاجة الى ضنى وجهد في البحث عنها ، وان لدينا ـ كما قلنا ـ اكثر من مائتي شخصية على الاقل ، كتبت وتركت اثارها ، مدفونة في بطون الصحف ، وتركت اثرها في مجال الرحلة او الترجمة او الرسالة او البحث ، غير ان عجزنا عن العمل المجهد من اجل الحصول على هذه الاثار هو الذي يقف بنا دون العمل .

ولقد نظرت فرأيت واحدا مثل احمد زكي باشا الملقب بشيخ العروبة وله في الصحف اكثر من الف مقال ، خلال اربعين عاما او اكثر ، منشورة في الاهرام والمؤيد واللواء والمقطم والهلال والمقتطف ، وهو بدون ترجمة شاملة ، وكذلك عبد العزيز جاويش ، وفريد وجدي ، واحمد وفيق ، واحمد تيمور ، وحافظ عوض ، والصحفي العجوز صاحب هامش الاهرام (توفيق حبيب) الذي كتب هامشا يوميا لمدة لا تقل عن سبعة اعوام كاملة يوميا ، تضم اكثر من الفي خاطرة وذكرى وحادث وموقف ، يمكن ان ترسم من خلالها صورة المجتمع في عصره ، وهناك كذلك عشرات اخرون جديرون بالدراسة والترجمة واثارهم ما تزال في بطون الصحف .

واذا كان الكشف عن هذه الاثار قد يصبح يسيرا بالمعاناة والعمل الشاق بين اضابير دور الكتب ، وبين صحف قد علاها التراب ، الذي يدخل في الخياشيم ، ويقذي العيون ، وبين صحف قد تآكلت اطرافها فان المشقة الكبرى والمعاناة الضخمة هي في البحث عن «اسرة المترجم له » فان هذا امر بالغ القسوة ، واستطيع ان اقول ان كثيرا من كتابنا الذين عاشوا هذه الفترة من مطالع القرن والذين ماتوا في السنوات الاخيرة ، قد خلفوا مكتبات ضخمة عامرة ، تضم الوف المجلدات ، ومئات الجذاذات ، والموضوعات التي لم تستكمل ، وعشرات الرسائل ، وصفحات لا حد لها من الذكريات والكلمات الموحية ، فاين هذه المكتبات ، اغلب هذه الاثار قد ضيعت بطرق تدل على عدم التقدير وتجاهل خطرها ، فهي في الاغلب قد ضاعت عن طريق الخدم ، او بيعت وصفيت بطريقة مؤلمة للنفس ، او حفظت في بدرومات ، تنتظر حل الخلاف بين اهل الكاتب عن طريق المحاكم ، هذه القضايا التي استمرت سنوات وانتهت بنهاية هذه الاوراق ، وقديما كان المرحومان احمد تيمور باشا واحمد زكي باشا يقرآن كل يوم عامود الوفيات بالصحف اليومية ، فاذا قرآ نعيا لعالم او اديب اسرعا فاشتريا مكتبته وآثاره ودفعوا فيها مبلغا مجزيا ، اما الان فقد قلت هذه الرغبة في جمع الكتب النادرة ، او الاثار المتروكة ، واصبحجل الناس في الاعتماد على المكتبات العامة ، ومن هنا ضاعت مكتبات كثيرة بالتسرب الى باعة الفول والترمس والبطاطا مع الاسف بثمن بخس .

واذا كان بعض ادبائنا قد تنبهوا اليوم لفضل التوصية بمكتباتهم لدور الكتب العامة او الجامعات فان الامر الشاق هو في « الاوراق الخاصة » فان هذه الاوراق قلما يعثر عليها الباحث ، ولاني لاذكر كيف لقيت من جهد في سبيل البحث عن بصيص من الضوء على شخصية رجل وصف بانه التلميذ الثاني لجمال الدين الافغاني بعد محمد عبده ، ذلك هو « ابراهيم اللقاني » فقد حاولت ان اصل الى بعض اثاره او صوره او مذكراته او شيء يكشف عن تفاصيل حياته فلم اجد سوى بعض كتاباته في جريدة مرآة الشرق (١٨٧٨ ـ ١٨٧٩) وقبل هذا وبعد هذا لا شيء ، الا مقال رثاه فيه صاحب المنار ، فلما اتصلت بأهله وجدت تحفظا شديدا ، ثم علمت ان مكتبته منذ اكثر من خمسين عاما مدفونة في (بدروم) احدى البيوت القديمة وان هذا البدروم يغرق كل عام بارتفاع النيل ، وما تزال اوراقه هناك !

اما فريد وجدي فقدحاولت ان احصل على بعض كتاباته او رسائله او مذكراته او اصول مقالاته فلم اعثر عند اهله على شيء مطلقا ، فقد ضيع ذلك كله وصفي ، اما كامل كيلاني فقد تفضل واوصى لي رحمه الله بقصاصاته ورسائله التي انتفعت بها في كتابة دراسة عنه كشفت عن كثير من الجوانب الغامضة في عصره وادب رصفائه .

ولقد اسعدني ان اعلم ان السيد المعتصم رشيد رضا قد اعطى اوراق والده الى الاستاذ احمد الشرباصي الذي يعد دراسة عن صاحب المنار ، وانه قد وجد في هذه الاوراق من الرسائل النادرة والمذكرات الهامة ما سيكون بعيد الاثر عندما يذاع .

وهناك نوع آخر من هذه المشقة ، واجهتني في دراسة

لماذا ؟

اسائل نفسي اذا ما رأيتك عبر دروب الحياة المريره
وراحت طيوف الكآبة في نظرات عيونك ... تلك الكسيره
تناشدني ان أعود اليك لاحيي عهود أمان نضيره
وأجمع أشتات ما قد تبعثر من ذكريات هناء قصيره ..
لماذا افترقنا ؟!

أنحن التقينا وراء الوراء   بأحضان جنتنا الزاهره
ورحنا ، وفي مقلتينا حديث   معانيه علوية ساحره
نجدف في لج حب عنيف   قرارته بالمنى زاخره
ونسمو الى الله ، والكائنات   تبارك رحلتنا الطاهره
أنحن التقينا ؟!

هنالك ألمح تحت الظلال   مقاعدنا لم تزل خاليه
وأسمع دوما حفيف الغصون   وزقزقة الاطير الشاديه
تناشدنا ان نعود لكيما   نشاركها عرسها ثانيه
ونسمعها أغنيات الحنين   لاجواء علوية نائيه
تقول بأنا رجعنا !

أعامان مرا ولما نزل   نعيش حياة الشقاء المخيفه
وما برحت مقلة في انتظار   رؤى الفجر خلف الجبال المنيفه
علام لعمري كرهنا الحياة   فأرخى الزمان علينا خريفه
علام انتهينا ... علام انطفينا   لاني ضعيف ، وأنت ضعيفه
والا لماذا ؟

عمان   عبد الرحمن سالم عاليه

احمد زكي باشا فقد كنت اعرف ان له اثارا وملفات وقصاصات وغرفة كاملة لاثاره عند احد معارفه ، فلما قصدته في ذلك ، ابدى قبولا وراوغ وظللت اتردد عليه ثلاثة اعوام آملا في ان استكمل صورة الرجل من خلال بعض كتاباته او خطاباته او مذكراته ، والرجل يراوغني على نحو عجيب ، حتى صدر كتابي ، فاتصل بي معتذرا بأعذار واهية .

وهناك جانب آخر على الباحثين موالاة الاهتمام به ، وهو الالتقاء بالاعلام الاحياء الذين عمروا وما زالوا يعيشون فان لديهم الكثير مما ينفع في هذه الدراسات وما تزال في شرقنا العربي اسماء لامعة حية اطال الله بقاءها ؛ شهدت السنوات الاولى لهذا القرن وعرفت الكثير ، ومن هؤلاء السيد احسان الجابري ، ومحب الدين الخطيب ، ومصطفى الشهابي ، وحسن حسني عبد الوهاب ،وعشرات كثيرون .

واني لاذكر كيف التقيت بخليل ثابت وهو على قمة التسعين ، والشيخ فخر الدين استاذ العقاد وقد فاتني لقاء الاب سرجيوس وفريد وجدي وغيرَهم ، فان لدى هؤلاء الاعلام علامات الطريق على كثير من الابحاث التي تمكن من « مسح » الحياة الفكرية في العالم العربي خلال هذه المرحلة . وحبذا لو نشرت المقابلات مع هؤلاء الاعلام وحبذا لو امكن الانتفاع بمذكراتهم ورسائلهم او رسائل الادباء اليهم .

وبعد فان تجربة العمل الادبي بالفة الاهمية ، كثيرة المشقة ، ولكنها تحقق اخيرا تقديم موسوعة لمعالم الادب العربي في العصر الحديث .

القاهرة   انور الجندي

جناح من الارز

أمن الارز سللت الكبرياء   يا جناحا ما لدنياه فضاء
ريشة منه على أهدابنا ،   وعلى الاجفان ترجيع السناء
غابة الانوار في آفاقها   يحصد الوحي اذا المجهول ضاء
صخب الاكوان أم فيض رؤى   جمع الشلال في عرق الصفاء
بشرت اغرودة قيثارها ،   وتسامى الحب عمرا من غناء
جبل الكوكب في ليل الهوى   فتملته عيون الابرياء
ولدته للعلى حورية   من بنات النور في عيد البهاء
وبراه جبل في صدره   مادت الاجيال بالعز امتلاء
هو سهم من صباح ساطع   شك في الكون ليحيا ما يشاء
مقلتاه كوكبا مجد صفا   فيهما من نجمة الصبح اهتداء
فاذا الجفن تهاوى شده   بجناح الشوق للعليا ارتقاء
سل ضلوع الشرق عن اصدائه ،   ان في الاصداء نار الانقياء
بوحه يسطو على الموج الذي   جاء يغزو الدر من شط الوفاء
جسد الفردوس في احلامه   دفقة حبلى بانهار العطاء
آدم يقتات من أشواكه ،   ويموت الزهر في صيف الشقاء
هل لحواء ، باهراء اللظى ،   فورة السم بمعسول الدواء
طلسم الشوق ، أذا أحرقته   عمد الالهام بالنار انتشاء
فرماد النشوة البكر دم   اي كاس ، ما تروت بالدماء
ذبحت جنية في هيكل   سكر الذابح والحب افتداء
رب جوع خبزه تقدمة   حللته لطوى القلب السماء
لك منه سرحة الحلم الذي   عاد للعين بمخمور الهناء
جمر الانفس بالحب فكم   ماج افق في اراجيح الضياء

* * *

لا تقل : أسطورة ان نلتقي   في جفون الصبح ، كم فجر مساء
نحن زرنا في الدجى ابراجنا   ورحلنا ، فلكنا طين وماء
نذرتنا للعذارى أزهر   ولطيفات على اللقيا وضاء
عمرنا كرم جنته أنفس ،   فله بعث متى هب الفناء
سره كالارض كم جاس بها   كوكب هاد ، وكم من حكماء
سرحت آياتهم لكنها   في صحارى الشر ما هلت سخاء
هي اجراس لارواح سرت   متحفا للعقم في أزهى رداء
كل غصن طلقته خضرة   هو للنار حلال ، يا شتاء

* * *

غارت الذكرى وما غاب الشذا ،   يا جذور الارز جاذبت العلاء
رب شعر نظم الخلد به   دحرج الموت وأحيا الشهداء
عندنا نيسان من أبياته ،   عمره ملحمة ، عمر البقاء

موسى المعلوف

سليمان الفاروقي ـ فايق عنبتاوي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الشيخ سليمان التاجي الفاروقي

ولد في الرملة البيضاء بفلسطين عام ١٨٨٢ وتحدر من أسرة عربية عريقة في نسبها وتلقى دروسه الابتدائية على الشيخ يوسف الخيري وفقد بصره وهو في التاسعة من عمره وحفظ القرآن الكريم قبل السنة العاشرة مع علم النحو على الشيخ البسيومي الكبير، ثم ارسله والده الى القاهرة للدراسة في الازهر الشريف برفقة خادم أمين للعناية به. ولفرط ذكائه لفت نظر الامام الشيخ محمد عبده، وكانت سنه حوالى الثانية عشرة، فأعجب به ومحضه اهتمامه وعنايته، وعين مكانه بجانبه واتخذه المتكلم باسمه في شروح الدروس لطلاب العلم.

وأمضى (معري فلسطين) في الازهر الشريف تسع سنوات حيث استوعب ما كان يرغب في دراسته من العلوم الفقهية واللغوية والتاريخية وغيرها، وعاد الى فلسطين ومنها الى الاستانة ملتحقا بكبريات مدارسها وهناك اتقن في برهة وجيزة التركية والفرنسية والانكليزية. وكان يقوم بتفسير القرآن الكريم في جامع أيا صوفيا الشهير وبدا آية في الابداع والجمال والسلاسة.

وتميز الشيخ الفاروقي بخطبه الارتجالية ونظمه القصائد ارتجالا في كثير من الحالات. وعاد الشيخ الالمعي من استانبول الى فلسطين متسلحا بشهادة في الحقوق وزاول المحاماة مدافعا عن الحق والمظلوم واليتيم. ومن النوادر التي يذكرها معاصروه انه وقف يوما ليدافع عن قضية وطنية امام قاض بريطاني ولما صدر الحكم ضد المصلحة القومية القى الشيخ عصاه ارضا وراح يتلمسها بيديه في قاعة المحكمة، وهنا سأله القاضي عما يفتش فقال الفاروقي: « أفتش عن العدالة ! »

وعندما استشرى السرطان الصهيوني في فلسطين وايقن ان الهدف الذي ترمي اليه بريطانيا هو تهديد فلسطين أصدر جريدة يومية كبرى باسم « الجامعة الاسلامية » وقد صدر العدد الاول منها في ١٦ تموز ١٩٣٢ وكان يرسل ٧٠ في المئة من اعدادها الى الاقطار العربية والاسلامية، لكن بريطانيا ضاقت ذرعا بهذا الشيخ الجريء وبالسياسة التي انتهجها لجريدته، فعمدت الى تعطيلها والغاء الترخيص بها.

وفي العهد التركي نفي هذا الشيخ النابغة الى الاناضول لحاقا بشقيقه الاستاذ شكري التاجي الفاروقي الذي نفاه جمال السفاح الى قونيه في أقاصي الاناضول لمشادة عنيفة جرت بينهما حول تموين الجيش التركي بالقمح الموجود لدى الفلسطينيين العرب، لكن الاستاذ شكري عارض الاستيلاء على المحصول الزراعي لحاجة الفقير الى الرغيف في تلك الحرب الضروس.

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية هاجر الشيخ سليمان مع أفراد اسرته الى الاردن فاستوطن اولا بلدة صويلح ومنها قصد مدينة الزرقاء وبعد ان اقام طويلا فيها استقر في أريحا.

وفي العام الثاني من النكبة اصدر الشيخ في عمان « الجامعة الاسلامية » وصدر العدد الاول منها في ١٥ آذار ١٩٤٩، لكن معالجته أسباب النكبة وبواعثها ووضعه النقاط على الحروف والصراحة التي عالج بها القضية الفلسطينية حملت المسؤولين على التبرم منه فاغلقوا الجريدة وعينوا الشيخ الفاروقي (عينا) في مجلس الاعيان وذلك في اليوم الاول من أيلول عام ١٩٥١، لكنه لم يبق فيه طويلا فعزله ذوو الشأن جزاء جراته في قول الحق.

واثر داء شديد انتاب الشيخ الفاروقي في أريحا عام ١٩٥٨ دخل المستشفى الفرنسي بالقدس، لكنه لم يقو على مقارعة المرض ففاضت روحه ودفن في مقبرة باب الرحمة شرقي باب الاسباط ببيت المقدس.

« كان الشيخ (١) التاجي وعاء العلم والفضل، ومثال النضال والتضحية في سبيل عروبته واسلاميته، وثروة الشيخ من هذا عند ربه ثروة واسعة، فلقد لقي ربه عربيا مسلما مؤمنا مجاهدا، عاهد ووفى بما عاهد عليه، وصبر صبر الاوائل الذين عرفهم الصدر الاول، وأحسب انه كان في أخريات ايامه هو بينه وبين ربه في ليله ونهاره، اكثر مما كان بينه وبين الناس !

وللشيخ فضل على الامة في جميع مراحل جهادها، منذ العهد العثماني حتى اليوم، وهو من المجلين السابقين في هذا المضمار، وهو عنوان صيحة الحق اذ وقف علمه وأدبه وشعره وقلمه على خدمة العرب ».

نماذج من شعره : تميز الشيخ سليمان بقوة عارضة وارتجال الخطب والشعر الفحل، وله في هذا الباب قصائد نارية قل ان تجد لها صنوا في شعرنا السياسي المعاصر، لكنها فقدت بسبب النكبة الفلسطينية وآلت الى العلج الصهيوني مع ما آل اليه من خيرات فلسطين وكنوزها.

وقبيل الحرب الكبرى أرسل الشيخ التاجي، وهو

---

(١) من رسالة مؤرخة في ٣ ـ ٦ ـ ١٩٥٨ بعث بها الاستاذ عجاج نويهض الى الاستاذ شكري التاجي الفاروقي (نزيل القاهرة) وشقيق الشيخ سليمان التاجي.

نزيل الاستانة ، صيحة فاروقية تزيد على السبعين بيتا خاطب بها السلطان محمد رشاد بعد توليه العرش واعلان الدستور وغمطه حقا أبلج بتنكره للعرب وعدم ادخال أحد منهم في الوزارة التي تم تأليفها قبيل الحرب العامة ، وهاك بعضا منها :

العرب لا شقيت في عهدك العرب   سيوف ملكك والاقلام والكتب
سياج دولتك الفرا ومعقلها   والثابتون وحبل الملك يضطرب
هم الجبال فما حملتهم حملوا   لكن اذا سمتهم ضيم النفوس أبوا
هم الخفاف متى تدعو وأقسم لو   صافحتحد الردى بالعرب ما رهبوا
كريمة أريحيات نفوسهم   فيها المضاء وفيها الجد والدأب
ما ان يخف بهم فوز ولا بطر   وليس يضرعهم قهر ولا غلب
سادوا فلم يستبح انسان دولتهم   وديل منهم فما هانوا لما سلبوا
كانت ربيعا من الايام دولتهم   ومعرضا راج فيه العلم والادب
وكل فضل اتى فالعرب مصدره   بل أي فضل اتى لم تحوه العرب
كنا نعلل بالدستور انفسنا   بفارغ الصبر ذاك اليوم نرتقب
حتى اذا جاء لم يحدث لنا حدثا   ولا استجيب لنا في مطلب طلب
هذي الوزارات كم من مرة نشأت   فلم ينل واحدا منها لها سبب

لسانهم اخلق الاغفال جدته   فبات ينعي على الكتاب ما كتبوا
تمشت اللهجة العجماء فيه الى   ان انكرته بنوه الخلص النجب
أيستهان به والدين جاء به   ودونه ألسن من دونها القضب
بضع وعشرون مليونا لهم لغة   تموت ما بينهم يا شد ما غلبوا
وصفوة القول ان العرب قد هضموا   هضما له كل نفس حرة تجب
أعيذ دولتك العليا وساستها   ان يتركوا تلكم الارحام تنشعب
وان يثيروا حفيظات النفوس فان   ثارت فهيهات ان يخبو لها لهب
خير الممالك يا مولاي مملكة   أساسها العدل ليس العنف والرهب
والشعب لا تبتغى قسرا مودته   وليس يسكن الا ريثما يثب
سياسة العنف لا تجدي وان نفعت   فالحبل ان شد يوما سوف ينقضب
وانت تحكم في قوم ذوي ميز   وكل حزب لديه مبدأ عجب
فاستوص بالكل خيرا وارع ذمتهم   وقف، بعدلك فيهم حيثما يجب
والعرب أكرم شعب انت تحكمه   ولن تضيع في ايامك العرب

ومن شعره قصيدة قيلت استفزازا لنواب العرب ، وقد نشرت في جريدة « المفيد » ـ بلسان الامة العربية تخاطب ابناءها ـ وبتوقيع « بدوي فلسطين » ومطلعها :

بيمن نواصيكم عقدت الامانيا   ورجيت ان أعلو لكم من علانيا
بني انهضوا واحيوا حياة عزيزة   حياة تعيد المجد للعرب ثانيا

وبعد ان يحدثنا عن امجاد العرب يلتفت ثانية الى النواب فيقول :

الا نهضة شرقية عربية   تزلزل اقواما وتوهي رواسيا
وتقضي كل امتياز واثرة   ويصبح كل الناس فيها سواسيا
ألا رجلا ذا ميرة فيلمكم   ويرأب صدعا فيكم بات واهيا
يقوم فلا يرتد او يبلغ المنى   ويقضي ولكن يبعث السيف قاضيا

وفي عام ١٩١٢ عقد في مدينة (بال) بسويسره مؤتمر صهيوني شهير فنظم الشيخ الفاروقي تخميسا حذر به العرب من أطماع الصهيونية العالمية بفلسطين وشقيقاتها العربية وكان صريحا كل الصراحة في قوله :

أيها الشعب نهضة وبدارا   أيها الشعب اوسعوك احتقارا
هب يا شعب واصلهم منك نارا   هب وانفض عن مقلتيك الغبارا
وأر القوم نهضة عربيه

قم قياما يا شعب لا تتوان   لا تهن لا تهن كفاك هوانا
ان هذا السكوت اصل بلانا   ان هذا الونى وذاك الكيانا
هاج تلك المطامع الوحشيه

غرهم صبرنا عليهم زمانا   حاولوا سلبنا البلاد امتهانا
فاذا لم نمت ولم نتفان   واذا لم نقم لهم برهانا
سلبونا والله تلك البقيه

نمت يا شعب واستطبت المناما   ورضيت الحياة ذلا وذاما
رحم الله في التراب عظاما   عشن ما عشن وارتحلن كراما
أتراها هانت على الذريه ؟!

يا بلادي عدت عليك العوادي   بت نهب الردى وسلب الاعادي
يا بلادي الا اسلمي يا بلادي   لك روحي ومهجتي وفؤادي
حبذا لو لقيت فيك المنيه !

يا فلسطين طال هذا المطال   ويح قومي أليس فيهم رجال ؟
طال ظلما اعداؤنا واستطالوا   ورأونا نغضي الجفون فصالوا
واستهانوا بنا وبالوطنيه !

يا فلسطين عقك الابناء   يا فلسطين ذم فيك البقاء
أترى الارض أعقمت والسماء   أم لماذا لا تنبت العظماء ؟
رب رحماك بالبلاد الشقيه !

٢ ـ فايق فريد عنبتاوي

ولد في مدينة السلط بالاردن عام ١٨٩٦ واتم دراسته الابتدائية وجزءا من الثانوية في نابلس بفلسطين وأنهى دراسته الثانوية في سلطاني بيروت ودخل كلية الطب في الجامعة الاميركية ببيروت لكنه لم يكمل دراسته الطبية بدعوى تجنيده الاجباري في الجيش التركي وتعيينه ضابطا.

وبعد زوال الحكم التركي من سورية الطبيعية وبعض اجزاء العالم العربي دخلت فلسطين تحت الحكم البريطاني فجاهر المسؤولون من الانكليز واليهود بالوطن القومي وانشائه في فلسطين فكان فائق في طليعة من قاوموا الاحتلال البريطاني والصهيونية السائرة في ركابه فنفاه الانكليز الى مصر حيث عاش في أحد المعتقلات عامين (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) وبعد ان عفي عنه عاد الى فلسطين وزاول التجارة مع والده .

لكن تهويد وطنه الغالي على قلب كل عربي حر ظل شغله الشاغل فأسهم في الحركة الوطنية منذ تشكيل «الجمعية الاسلامية المسيحية» في نابلس واللجنة القومية فيها .

واستهدف مع المرحوم والده لاضطهاد السلطات البريطانية والتهديد بالقتل واشهار السلاح عليهما ونسف منزلهما لتغذيتهما الثورة الفلسطينية ولمساعدتهما الثوار وايوائهم ودفعهم للمضي في حلبة الجهاد .

وفي اعقاب عام ١٩٣٨ اعتقل البريطانيون فائقا ووالده واودعوهما معتقل المزرعة بالقرب من عكا ولبثا في المعتقل ١٨ شهرا ثم نفي فائق لعمان عاصمة الاردن ونفي والده الى لبنان .

وفي مطلع الحرب العالمية الثانية (في اليوم الاول من أيلول ١٩٣٩) عاد فائق من المنفى الى نابلس وانبرى للكتابة في الصحف والخطابة في الاندية والجمعيات ، منددا

بالظلم البريطاني والطغيان الصهيوني أيمانا منه بأن بريطانيا اصل الداء وراس البلاء .

وبعد ان اعلن قرار تقسيم فلسطين في هيئة الامم المتحدة بنيويورك (٢٩ – ١١ – ١٩٤٧) تألفت اللجان القومية في المدن الفلسطينية فكان فائق عضوا بارزا في اللجنة القومية بنابلس وطاف ، مع وفد من اعضاء هذه اللجنة ، بمصر وسورية ولبنان لدعوة حكوماتها الى تقدير الموقف في فلسطين ودعم المقاومة العربية وتزويدها بالسلاح والعتاد .

وبالرغم من حلول النكبة وتشرد عرب فلسطين لم ييأس بل ظل ينادي براب الصدع وتوحيد الهدف لاسترداد الوطن المغصوب ، والشرف المعطوب . وفي عام ١٩٥٦ خاض المعركة الانتخابية في الاردن ففاز بالنيابة عن لواء نابلس وظل فيها الى حين وفاته .

وخلال نيابته تميز الفقيد بدعوته الى قيام اتحاد فيدرالي يضم مصر وسورية والاردن ، ايمانا منه بأن العرب لم يأخذوا مكانهم تحت الشمس ما لم يتحدوا ويصبحوا دولة واحدة تعبد ربا واحدا وتهدف هدفا واحدا .

وفي شهر شباط من عام ١٩٥٨ اعتقل فائق واودع سجن معان وبعد ان عفي عنه عاد الى نابلس وتوفي ليلة ٢٤ – ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٠ ودفن في مهد اجداده .

نماذج من شعره : قرض فائق الشعر بصورة متقطعة قبل وقوع النكبة غير ان قريحته تفجرت بعد النكبة عن طاقة هائلة من الشعر القومي . وظل يصور مأساة فلسطين شعرا الى ان لحق بربه .

وكثيرا ما عمد الى شعر التورية والرمز بلسان (البلبل) تارة ولسان (عبلة) و (سعاد) و (ليلى) و (قيس) تارة اخرى ، ودونك نماذج من شعره القومي الرفيع بعد وقوع النكبة :

أنا وبلبلي في سفينة

أنا :

سارت بنا وسط البحار سفينة ... بين العواصف والرياح العاتيه
الكل منا سابح في لهوه ... كل يموج وبلبلي في زاويه
ما كدت تسمع او ترى في ظهرها ... غير الكؤوس وعازف أو غانيه
وعناق كاس في انامل غادة ... بكؤوس من ثملوا بظلم الساقيه
لم تلق منا غير ملتحم الخصو ... ر مرنح او راقص أو عاريه
الكل يرتع عابثا وجميعهم ... ما بين لاه بالهوى أو لاهيه
تمشي السفينة فوق بحر ثائر ... من فوقها بحر يثور طواعيه
من تحتها موج تحركه الريا ... ح وفوقها عصف العيون الساهيه
صرخت نذيرا خلته في أضلعي ... فهوى فؤادي لست أدري ما بيه
احسست في جنبي رعشة واجف ... فسألت طيري : هل دهتنا غاشيه؟

البلبل :

هلا صحوت من الكؤوس وفعلها ؟ ... هلا صحوت من الليالي الزاهيه ؟
لم أدر طعم النوم مذ فارقتني ... أين الرقاد وكلنا في الهاويه ؟
عصفت رياح ثائرات دمرت ... برج السفينة فوقها والساريه !
والركب مخمور يميل مع الهوى ... أيخاف من جرف الهوى من عاديه؟

أنا :

لم أنت تخشى ان تميد بك الدنا ؟ ... لا تخش من عصف الرياح الطاغيه
فالفوث آت لا تخف مما بدا ... لا تبتئس ان الزوارق آتيه !
أفلا ترى شبح المغيث مسارعا ... لا تخش عاصفة طفت ماذا هيه ؟

البلبل :

اني أخاف من البحار وغدرها ... ومن المغيث وكيده بالتاليه
من ذا الذي يخشى؟ أليس محاذرا ... لم يلق من واع بكم أو واعيه

أنا :

هذي السفينة قد مضت مقطورة ... تختال تيها انها متهاديه !
لم انت في فزع يصارعك الاسى ... فاخذت تهجس في أمور واهيه ؟

البلبل :

بعدت منائر ثغرنا يا صاحبي ... كيف النجاة فهل لنا من واقيه ؟
أين المصير اذا تنادى زورق ... أفهل ترى في البحر منا باقيه ؟
هلك الاولى ركنوا لنجدة غيرهم ... عودوا بنا ان الرياح معاديه !

انا :

يا بلبلي كم أنت بلسم جرحنا ... كم أنت تعلم جهدنا والخافيه
ان كنت أخشى ان ابث سريرتي ... فاجهر بها هي صرخة بي داويه !

أنا وبلبلي

أنا :

أنا والطير كوخنا في مفاور ... وكلانا من الجوى هو ساهر
نتشاكى من الهوى نتحاكى ... كان يشدو اذا رآني أعاقر
ويغني اذا رآني بكوخي ... ويناجي ، سألته : من تسامر ؟

البلبل :

لا تسلني بوحشتي من أسامر ! ... أين روض بأهله الغر عامر ؟

انا :

انس مثلي ولا تكن رهن حزن ... اثقلته جراحنا والمجازر !

البلبل :

كيف أنسى وفيه قد بات ذئب ... أغبر اللون ، لحنه لحن ساخر ؟

انا :

أنا أسلو بجرعة كل هم ... برصيدي بفضلها لا أقامر !

البلبل :

كيف أسلو وطيفه في فؤادي ؟ ... كيف ينسى دياره من يهاجر ؟

انا :

أينما عشت موطن لي فيه ... لا أبالي بما غدا نهب غادر !

البلبل :

فلنعدها بنابنا وبظفر ... كيف نرضى بديلها خبز (١) ماكر
أبخمر حياتنا وبخبز ؟ ... أبهذا صروحنا والمفاخر ؟
فليكن عهد شعبنا عهد ثار ... وليكن لحن شدونا لحن ثائر !
ودعوا الكاس ان فيه شرابا ... حذرونا بفعله فلنحاذر !
ودعوا الخبز ان فيه هلاكا ... من افاع سمومها صنع ساحر !
ودعوا النوم وانتضوا سيف عرب ... كان يوما بوحدة سيف قاهر !

انا :

بلبلي انت في الدجى فجر بعث ... وبعث البأساء كم انت ماهر !
فتكلم فان في الفم ماء ... بلبلي كم بجرحنا أنت شاعر !

الشقيقات الثلاث

عبله :

لم يا (سعاد) أصبت فينا مقتلا ... وبلادنا في حربها المتراميه ؟

---

(١) اشارة الى المؤن الهزيلة التي تقدمها وكالة الاغاثة للاجئين الفلسطينيين .

انا والوهم

تحتاج عيني دمعة مهراقة
لا ان تجف ويستحر ضرامها
يا ليتني «البوذي» يحرق باسما
اذ قد عدته من الدنى اوهامها
لكنني والوهم ثُرعا دوحة
ما نال غير عنائه جرامها

حلب علي الناصر

فجعلت ما بين الاشقا من جفا   عبر الاثير يثير حربا داميه !
أو لست كبرانا وفيك رجاؤنا   وملاذنا من كل ريح عاتيه ؟
مهلا (سعاد) تناولي بالرفق اخـ   ـتا لم تكن لك في مصابك جافيه !
لم لا نحكم بيننا في خلقنا   (ليلى) الاسيرة في الديار الغاليه؟

سعاد :

يا (عبل) أفديك فهذي فرية   من ذا الذي جعل المعارك حاميه ؟
ان تعلمي اني لك الكبرى فلم   لا تقبلين اخوتي ووداديه ؟
انت التي لم تدخلي في جمعنا   أنت التي أعلنت حربا قاسيه !
من ذا الذي رفض الاخوة واقعا   في وحدة عربية هي واقيه ؟
اني رضيت بحكم (ليلى) بيننا   فلعلها تجد السبيل الشافيه !
(ليلى) احكمي ما بيننا في أمرنا   أنت المراد وفيك سر الداهيه !

ليلى :

أختي اني من نزاع أحبتي   أشكو الضنى في ذلتي وهوانيه !
ان كنتما من أجل (ليلى) حربكم   لم تتركاها في حضيض الهاويه ؟
ان المنى ان تنقذوني أولا   أنا لا أبالي بعدها فيما ليه !
من ذا يفيد من المعارك بيننا   أو ليس خصما ممسكا بالناصيه ؟
ويشير بالسيف الملطخ حده   بدمائنا نحو الرمال الخاليه !
ويقول للعرب المفرق جمعهم :   عودوا لصحراكم لرعي الماشيه
هذه الديار لمن تشتت شملهم   فجمعوا بعد الحروب الضاريه !
أختي ما هذي سبيل خلاصنا   فتسألان عن المآسي الجاريه
هذي تسب وذي ترد وهكذا   ودموعنا تمسي وتصبح قانيه !
هذي تصول وذي تجول وخصمنا   مستأسد يبني الصروح العاليه
هذا نذير كل يوم صارخ   أين الضمائر والقلوب الواعية ؟
او لم نكن بالامس صرعى فرقة ؟   او لم نكن اعجاز نخل خاويه ؟
من منكما تبدي التسامح اولا   أختي مهلا فالضحايا غاليه !
يا (عبلة) هذي (سعاد) شقيقة   افخطوة و (سعاد) تخطو الثانيه
اني حكمت بما علمت وشرعتي   من وحي رزئي والسهام الراميه !

أين الرجال العاملون لوحدة   المنقذون صروحنا المتداعيه ؟
اني أهيب بهم بكل مقدس   هبوا لوحدتنا لصون الباقيه
النصر بين يديكمو عند اللقا   فهو المجيب اذا دنوتم ثانيه !

صرخة المريض العربي

يا آسي العرب هل فتشت عن ألمي   وهل تبينت مني موضع الالم ؟
فهل سمعت ضلوعي وهي ثائرة   تعلو وتهبط من كبت ومن ضرم ؟
وهل سمعت خفوق القلب مصطرعا   وهل كشفت كمين النفس من شمم؟
اني غدوت أبيت الليل في أرق   احدث النجم عن بؤسي وعن نقمي
اني اكابد ما لو قلت عنه اذى   حملت وزرا يفوق الكفر في التهم
لما شكوت مصابي خلتني ثملا   أهذي واهزل حتى بت في صمم
اني سأصرخ ملء الصوت عن محني   انا الشريد وقد امسيت كالرمم
اني لاخشى اذا ما بحت عن عللي   من ان يكون دوائي منك سفك دمي!
انا الجريح فلا خوف يساورني   خذها مدوية تأتيك ملء فمي
أنت الطبيب ودائي منك في كبدي   أين الرجاء وكيف البرؤ من سقمي؟!

مع فلسطين

قلت : يا (ليلاي) مهلا   لاح فجر للنواظر
لا تقولي : طال ليلي   ان صبح العرب باكر
لا تقولي : أين أهلي   ان صوت العرب هادر !
لا تقولي : أين أنتم ؟   اننا حول المعابر !
رسم العرب خطوطا   ابشري فالزحف عابر
لا تشكي في مقالي   لست في قولي بهاذر
لست أنسى حب (ليلى)   ان من ينساك كافر !
ستعودين فلسطين   فنادي بالبشائر !
(قيس) دعني من خيال   ان دائي في المرائر
قد كفرت اليوم بالصو   ت يدوي في المنابر
ان نور الفجر نار   من صناديد الجزائر
لا تلمني ان شكوت الليل   ان الليل كافر
قد سمعتم عن جراحا   تي فمن للقيد كاسر ؟
ان قيدي من حديد   ليس تمحوه الحناجر !
(قيس) صبرا لا تلمني   لست أنسى سهم غادر
ليس « اسرائيل » خصمي   سهم جرحي عنك صادر
أين عهد بالتلاقي   لاتحاد من يبادر ؟
أين حيفا ؟ أين يافا ؟   أين أهلي والحرائر ؟
« رملة » أين و « لد » ؟   سل خياما ومغاور !
ان زحف الخصم باد   أين أصحاب الضمائر ؟!

وبعد وقوع النكبة يئس شاعرنا من عودة الشعب المغلوب الى الوطن المغصوب فأرسل شعرا يفيض بالاسى والتشاؤم وكان آخر ما نظم قوله :

ولى شبابي وانحلت كتائبه   واستسلم القلب لم يرفق باحساسي
راياته البيض تعلوني مسلمة   الى المشيب زمام القلب والراس
تصدع القلب والسكان قد رحلوا   لم يبق حولي من يهفو لايناسي
ورحت ارقب تيه الغيد في ألم   ففي الفؤاد بقايا من هوى الناس
اني لاذكر عهدا كنت فيه فتى   من حولي الغيد بين الطاس والكاس
وضارب العود يحكي من أنامله   من أغنيات الصبا «يا ليل » يا آسي!
فالزهر منتشر والخصر ملتحم   كأنه شبه غصن مال مياس
واليوم أشعر ان الامر منتكس   فبت اضرب أخماسي بأسداسي
اذا ذكرت شبابي خلتني ثملا   أهفو الى الغيد والقيثار والطاس
يروع النفس مني طيف غانية   قلبي به سقم من قلبها القاسي
ليت الشباب يعود اليوم يذكرني   قد قطع الشيب اوتاري وأنفاسي
كم ذا يؤرقني ان رحت أذكره   فليس ينفع ذكرى اذ هو الناسي
يا دهر حسبك فارفق انني تعب   فالقلب منصدع والناس للناس
فهل ذكرت شبابي يوم غزوته   كيف الحسان جثت والجيد كالماس!
وهل رأيت شرود العين تائهة   بحثا عن الورد من لون واجناس
لا تحسبن حديثي عن محاولة   أعوذ بالله من وسواس خناس
استغفر الله من ذنب ومعصية   فالله قصدي حسبي وهو نبراسي
اني وهبت فؤادي امتي ففدت   تحتل قلبي كطود شامخ راسي

عمان ـ الاردن   البدوي الملثم

كان المرء يجد الراحة والسرور في دكان الحلاق السيد فرنسيس، وهو دكان فخم في احد الشوارع الرئيسية في وارسو. ولكن الدكان لم يعد الان موجودا . لقد اختفت في هذه الايام في وارسو الاماكن التي كان المرء يجد فيها الراحة والسرور حقا.. وقد قامت مكانها اماكن اخرى لطيفة مثلها ، ولكن لاناس اخرين . ان دكان السيد فرنسيس لم يكن يبدو دكان حلاق ، ولو لم تكن على الباب تلك السلسلة النحاسية الصفراء لم يخطر ببال احد ان هذا مكان لمشط الشعر ، والحلاقة ، وسحب الدم ، وخلع الاسنان ، واستخدام العلق لمص الدم ، بل لعل اول ما يتبادر الى الذهن ان هذا مكان لتربية الحيوانات ، او محل لبيع الطيور ، او متحف للتاريخ الطبيعي .

ولم تكن الواجهة الزجاجية على الشارع لتخلو من الفضوليين المتجمعين عندها ، والذين كانوا ينظرون الى الآنية الملأى بالعلق والضفادع الخضراء ، والسلاحف الصغيرة التي تزحف في المتحف ، والسحالي في علب زجاجية ، والفئران البيض ، والحشرات غير المألوفة .

وكان اهم ما يسلي المتفرجين دمية سنجاب يدور مع طاحون هواء ، وراهب مصنوع من الورق المعجون كان يختفي في كوخ ، مصنوع كذلك من الورق المعجون ، حينما يكون الطقس سيئا .

كان باب الدكان مفتوحا طوال النهار .وكان جميع الذين يأتون من السوق ويمرون من امام الدكان يقفون لحظة ، ولو لتحية صاحب الدكان فقط ، وليقولوا له : « نهارك سعيد يا سيد فرنسيس »!

– كيف حالك يا فرنسيس ؟

– وجهك اليوم يا فرنسيس يبهج النفس..

– كيف صحتك يا صديقي العزيز ؟

هذه العبارات التي كانت تسمع هناك .

وكان السيد فرنسيس يجيب مغتبطا دون ان يكف عن تجليخ الموسى ، او ارغاءالصابون، او حلاقة ذقن الزبون .

– صباح النور يا سيدي المستشار ..

– يسرني ان اراك ايها الشاب ..

– آه ! آه ! طلعتك جميلة يا عفريت ..

– صحتي ؟! اليوم فوق الارض وغدا تحتها.

هذه العبارات كان يجيب بها مصحوبة باصوات الطيور الصاخبة ، فلقد كانت هناك اقفاص عديدة معلقة على جوانب الدكان الكبير . وكانت الكناريات ، والشحارير ، وانواع اخرى من الطيور المغردة تصدح باعلى اصواتها . وعلى الارض يهدل ويقفز زوج حمام ذو شكل غريب ولون لا يوصف . ومن حين الى آخر كان يبيع زوج الحمام او يستبدل به طيورا اخرى . غير ان المقام الاول في حديقة الطيور تلك كان لببغاء عجوز يكاد ريشها يسقط كله ، ويرجع عهدها الى الثورة الاخيرة (١) .

كان السيد فرنسيس يتحدث عنها فيقول :

« هذه رفيقتي ، لقد اختبأنا معا ، وجننا معا ، وفرحنا معا ... والان نعمل معا » .

كان لتلك الببغاء العجوز اسم غريب .كان اسمها « حكومة » ، وكان الاجانب حين يسمعون ذلك الاسم يلوون افواههم ويتساءلون:

– حكومة ؟.. أي حكومة ؟.. حكومة من؟..

فكان السيد فرنسيس ينتحي بهم جانبا ويهمس في اذانهم بمقاطع واضحة مشددة :

– حكومتنا – الوطنية !

– آه ! آه !

كانا يتفاهمان بالعيون ، فكان المتحدثون معهما يضحكون على السيد فرنسيس وببغائه العجوز .



للكاتب البولندي فيكتور غومولكي

ترجمها عن الايطالية: عيسى الناعوري

●

كانت الببغاء جادة دائما وغاضبة ، تبدو الكآبة والوجوم على وجهها . ولم تكن تسمح بالاقتراب من قفصها لاحد غير صاحبها ، اما الاخرون فكانت تهددهم بمنقارها ، تتفنن صائحة في وجوههم كعجوز شمطاء سفيهة .

كانت تخاف كثيرا من الملابس العسكرية ، فاذا ما دخل الى الدكان سيد يرتدي بدلة عليها ازرار لامعة ، كانت « حكومة » تقفز الى فوق ، وتلبد في قرنة القفص مخفية منقارها تحت جناحيها ، وتنفش ريشها مرتعشة . ولم تكن تعود الى مكانها الا بعد خروج لابس البدلة العسكرية .

في احد الايام كانت الببغاء تثرثر على غير عادتها . ويقول السيد فرنسيس وهو يتحدث باعجاب عن ببغائه المحببة انها في ذلك اليوم « لم تغلق منقارها من الصباح الى المساء ».

وفي مرة اخرى قال الحلاق : الببغاوات الاخرى لا تفهم ما تقول . اما ببغائي فتفهم كل شيء ، ولا يقتصر فهمها على ما تقوله هي وحدها ، بل يتعداه ايضا الى ما يقوله الاخرون . فليسقط انفي من مكانه اذا كنت اكذب !..

وكان هذا صحيحا . كان لتلك الببغاء حكاية ، وقد سمعها خادم كنيسة الاباء الاغسطينيين ، وهو صديق للسيد فرنسيس ، مرارا متعددة في حانة النجمة على الشكل التالي :

« في احد الايام ... وانت تعرف متى كان ذلك اليوم !... حين اعتقلوني وحملوني من هنا ، رجوت السجانين ان يتركوا لي « حكومة » . فرق لي الشرطي الاكبر سنا ، ووافق على طلبي . وهكذا كانت الببغاء رفيقتي في عربة السجن الى سيبيريا .لقد مضوا بنا بعيدا ، وكان البرد رهيبا والسآمة اشد رهبة . لم يكن في وسعي ان اتبادل كلمة واحدا مع أي انسان . وعندئذ فكرت : قد انجح وقد لا انجح ، ولكنني سأحاول . يقال ان الببغاوات تتعلم الكلام ، فلأحاول مع ببغائي . فحاولت وافلحت . في البداية كانت التمارين عسيرة جدا : كانت الببغاء تغلق عينيها وتدير رأسها ، ولا تفهم شيئا ، ولكنها فهمت حين شرحت لها ما اريد وكررت الشرح جيدا . ومذ ذاك لم اعد احس بالسأم، لقد كان لدي صديق افتح له قلبي ، واثق به، وابثه همومي . كانت الببغاء تصغي الي باهتمام ، وتبادلني المودة ، وتتعجب ، وأحيانا تصرخ صراخا مرحا كانها تضحك ، واحيانا اخرى تنتفض وتنفش ريشها كانها تريد ان تقول : « آه ! يا اولاد الكلاب ! فلتموتوا قتلا بالرصاص !»

واخذ الطائر يتعلم الرد علي شيئا فشيئا ، كان يقول الفاظا قليلة ولكنها صحيحة دائما. حقا لقد كان لي تعزية عظيمة . ليالي طويلة من الشتاء لم يكن عندي سوى الشايوالروم، واحيانا الروم وحده دون الشاي ، وكذلك الببغاء لا تسلى بالحديث معها . وفي الخارج كان الصقيع ، والثلج ، وعواء الذئاب والقطط البرية . وليس من حولنا غيرالرقعة المألوفة البيضاء اللامتناهية ، ونحنالمسكينين اليتيمين ، المعزولين عن الدنيا في الغرفة الباردة الى جانب النار نثرثر ونثرثر ولا نشبع ثرثرة . لقد كنا نتحادث عن كل شيء :

(١) يشير الكاتب الى الثورة البولندية عام ١٨٦٣ – ١٨٦٤ . (٢) تاريخ اعلان الدستور للشعب البولندي .



عن وارسو ، عن الوطن ، عن الاخوة الثائرين، والاخوة المسجونين . كنا نتحدث كما يتحدث صديق الى صديقه ، كما اتحدث اليك الان. قد لا تصدقني ! اذن فليصبني ال ... »

وكان خادم الكنيسة ينظف انفه ويسكت . لقد شرب خمسة اقداح او ستة ، فلم يكن من اللائق ان يصاب صديقه باي حادث سوء.

اما الان فالحقيقة هي ان « حكومة » لم يعد يبدو راغبا في الاختلاط ، فلم يعد يصغي الى ما يقال له ، ولا يفكر في ان يجيب . بعد ان كان ثرثارا اصبح صموتا . كان يقضي اياما كاملة لا يتحرك داخل قفصه ، حتى ليخيل الى من يراه انه طائر محنط .

ولكن كان السيد فرنسيس قد تبدل ايضا كثيرا : لقد تزوج ارملة غنية ، وفتح دكانا جديدا خاصا ، فاصبح ابا لاسرة ، وصاحب دكان ، وهلم جرا . وطبيعي انه اصبح اكثر رصانة ، واكثر هدوءا ووقارا ، والى جانب ذلك ازداد سمنة واصبح اصلع ، والسمنة والصلع يكبحان جماح الشباب المندفع .

في الازمنة الماضية كان « حكومة » مشهورا بالحرية الواسعة في الكلام ، وغالبا ما يكون كلامه خطيرا ، فقد تعلم في جو الثورة المضطرمة . لقد كان يصرخ ، مثلا ، دون ان يبالي باحد : « في المكان الفلاني نال الجنرال الروسي فلان الفلاني ضربا شديدا » .

او يقول ايضا : « الى الامام ايها البولنديون ! الى السلاح !»

او ايضا : « عسى الله ان يعيد اليوم الثالث من ايار ! » (٢) .

وفي مرة اخرى تجرأ على ان ينشد اعز الاناشيد ، الاناشيد الممنوعة منعا باتا من قبل الرقابةوالتي تمجد ابطال الثورات البولندية.

اما الان .. فقد كانت الامور تسير منفوخة الشراع ، وفي كل يوم يدخل الدكان اناس مهيبون ذوو مكانة : كان يجيء رجال ذوو اعتبار واهمية من موظفي الجمارك ، وموظفي الامن العام ، وموظفي البلدية...فكان صاحب الدكان يدعو في سره قائلا :

« عسى الله ان يحمي الطائر من ان يردد امام هؤلاء الاشخاص شيئامن حكاياته المألوفة!»

لقد كان السيد فرنسيس يحب رفيقه الامين كل الحب، بحيث لم يفكر في ان يلوي عنقه اتقاء للخطر . اما في قرارة نفسه فلم يكن يتوقع له الخير مطلقا وكان كلما شرع الطائر يقول عبارة معادية ، يرمي فوطة على قفصه وهو يصيح : « اسكت !.. هس !.. ممنوع !..»

وكان الطائر يسكت مفهوما ويظل في صمته حتى ترفع الفوطة عن القفص . وهكذا جعل يفقد مرحه وصوته شيئا فشيئا . في بادىء الامر كان يتكلم نادرا ، ثم خرس نهائيا .

في احد الايام ، يوم احد من ايار ، كانت الشمس من فوق جدران دير الاباءالاغوسطينيين تسطع مائلة في قلب الدكان ، فتملاه بغبار من ذهب ، وبالوف من الشرر جاءت تحمل معها الربيع والفرح والامل ، وعند ذاك حدث ما لم يكن في الحسبان . لقد صعد الطائر الى اعلى مكان يستطيعه ، وراح يصفق جناحيه ويصيح بأعلى صوته :

« ان بولونيا لم ..لم..لم.. »

ولم يكن في الدكان غرباء ، ولذلك لم يكن من حاجة الى تغطية القفص . وكان خادم الكنيسة ، والجزار الواقف امامه ، واستاذ، ورسام شاب ، وممثل عجوز ، كلهم من اصدقاء الدار . فالتفتوا جميعا نحو الطائر بعيون تقدح شررا ، وحبسوا انفاسهم في انتظار ان يتابع الطائر مطلع النشيد الوطني كاملا ، وهو : « ان بولونيا لم تضع » .

ولكن الطائر صاح بصوت كالكرة الموسيقية: كررر ... وصمت . ثم ادار رأسه نحو اليمين ونحو الشمال والقى نظرة مرتابة ثم قال بلهجة غاضبة : «اسكت !... هس !.. ممنوع !..»

وبعد ذلك قفز الى تحت ، وانكمش في قرنة وصمت . فجعل السيد فرنسيس يبكي ويضحك ، وابتسم الاخرون متعجبين من مقدرة الطائر على محاسبة نفسه . ولكنه لم يبال بالضحك ، ولا بالدموع ، ولا بالاعجاب .

ومرت ايام ، ثم اسابيع . وكان الطقس الجميل يزداد حبورا وجمالا وهو يدخل الى الدكان ، غير ان الطائر لم يخرج عن صمته. وكانوا يحاولون ايقاظه بتذكيره بالايام الجميلة، فيتقدم في كل مرة واحد من اصدقاء السيد فرنسيس الى القفص ويصيح في اذن الطائر الكئيب :

« ان بولونيا لم تضع بعد » .

فكان « حكومة » يستيقظ ويهز رأسهويتأمل قليلا ثم يجيب « اسكت..هس.. ممنوع » ثم يعود الى الرقاد من جديد .

لقد تكررت هذه المحاولات مرارا ، ولكن النتيجة كانت دائما واحدة . ثم لم تعد هذه المحاولات تجدي نفعا ، فقد كانوا يصيحون ويقرقون امام الطائر العجوز فلا يفتح اجفانه. السيد فرنسيس وحده كان ، حينما يجد لحظة فراغ ، يقف الى جانب القفص ليخاطبه خطاب صديق لصديقه ، فيوفق في ايقاظ شيء من الحياة فيه .

كان السيد فرنسيس يقول له :

« اتذكر ايها الطائر الصغير ، كيف حفظتك في ذلك البرد الجهنمي اياما كاملة ، كنت فيها تستدفىء على صدري ، ولولا ذلك لتجمدت من الصقيع ؟... اتذكر ، حين اعلن الكاهن الروسي انك ساحر كبير ، كيف تجمع اناس ملتفون بالجلود حول كوخنا لكي يطردوا «الشيطان» بعصيهم ، ولولا انني اطلقت بضع طلقات لما تركوك حيا الى الان ؟ وهل تذكر كيف انك طرت يوما ، دون ان احس بك ، ومضيت عني بعيدا ، وبينما كنت اتحسر على فقدك اذا بك تعود ومعك سرب من الطيور ، دخلت جميعها معك الىالكوخ؟.. اتذكر هذا ؟.. استيقظ اذن ، يا صديقي ، وخاطب صديقك كما تعرف ان تتكلم ، وكما كنت تتكلم من قبل .. بطريقتنا نحن ،بطريقة الثائرين البولنديين ..»

كان الطائر يمد عنقه ويتأمل السيدفرنسيس بعينيه الحصيفتين كانما يفهم كل شيء . وفجاة شد منقاره ثم فتحه .. ولكنه لم يفه بغير الكلمات المريرة التالية :

« ممنوع !.. ممنوع !..»

ثم اغمض عينيه ونام . ومنذ تلك اللحظة لم يعمل شيئا غير النوم ، والنوم وحده . لم يعد ياكل او يشرب شيئا تقريبا .

وفي احد الايام عند الفجر خيل الى السيد فرنسيس ، وهو راقد في الدكان ، انه يسمع صوتا يناديه . فجلس في فراشه ، وحملق عينيه وحبس انفاسه ... فسمع في القفص الكبير الذي يقيم فيه «حكومة» صراخا اجش يائسا . يبدو ان الطائر يستغيث !

وفي لحظة كان السيد فرنسيس الى جانب القفص . كان الطائر كالثمل يقفز ، ويرتجف، ويترنح .. ومع ذلك فقد عرف صاحبه ، وحالما رآه كف عن الصراخ . ومن خلال قضبان القفص امتد منقاره يداعب اصبع فرنسيس. كان قد مضى زمن طويل لم يداعب فيه اصبع صاحبه بهذا الشكل . فتأثر السيد فرنسيس وشعر بالسرور ، فقال له :

ـ « ايه يا صديقي ! ان بولونيا لم تضع بعد !...»

فترك الطائر يده ، ونفش ريشه ، وانتصب على ساقيه ، وظل لحظة دون حراك . وفجاة صرخ بصوت يائس :

ـ « ممنوع !.. هس!..»

ثم سقط في قلب القفص دون حراك .

في ذلك اليوم ظل الدكان مغلقا حتىالظهر. لقد شاء السيد فرنسيس ان يخلو الى نفسه. وفي حرقة شديدة بكى صديقه الراحل ، وبكى معه شبابه الضائع .

عمان — عيسى الناعوري

دمعة على بطل

في نيسان ١٩٤٨ استشهد البطل عبد القادر الحسيني في معركة القسطل ، وهو يكافح ضد الصهيونية المعتدية على الارض العربيـــةفلسطين .. وهذه القصيدة ذكرى للغافلين ، ومهـداة لروح الشهيد :

قبول الرزايا ، واحتمال الاذى يردي … وصبرك في الدنيا على الضيم لا يجدي
حياتك محمولا علـى آلـذل والاذى … ضلال..وهل ترضى الضلال عن الرشد؟
وحرصك في الدنيا على العيش ضلة … لعلمك ان الجزر يقفو خطا المـد
فان أنـت أمضيـت الحياة مقيـدا … بـذل .. فمـا بعـد المذلة من قيد
وان أنـت أمضيت الحياة مجاهـدا … لنصرة مظلـوم علـى كـل مستعدي
حري على الايـام ان تحمد السرى … وتجني ثمارا من خلود ، ومن حمد
فما المـوت للابطال فـي كـل امة … سوى النصر للاجيال ، بل ثمن المجد

فلهف بني الفصحى ، على خير قائد … فقدناه فقدان المشيح الـى الزنـد
لقـد كان للاعداء سهمـا مسـددا … وقـد كان للاوطان من أنبل الجنـد
رمتـه يـد الاوغاد بالموت غيلـة … وقـد خانـه الجد الرديء من الرفد
فأصبح .. لا حصن يقيه مـن الردى … ولا درع يحميـه من الفاتك الوغـد
لان ذاق طعم الموت من كف حانـق … ملوثـة بالاثـم ، والغـدر والكيـد
فكـم جندل الباغي على حسك الثرى … مقابلـة الابطـال ، والنـد للنـد
واصلاهمـو نارا قريـب حمامهـا … يسيل لهـا قاني النجيع على القد

فيـا مفتدي الاوطان بالنفس يافعـا … الـى الخلد مزهوا لدى صادق الوعد
ففي الخلد تلقى ما وعدت وتلتقـي … بمـن كان بالفردوس من سالف العهد
هنـاك توفـي أجر ما قـد بذلتـه … نعيمـا مع الابـرار في جنـة الخلد
ستنسـى بهـا جور الحياة وظلمهـا … وحسبـك أن تنأى عن الظلم والحقد
فراديس قد شاع الظلام باهلهـــا … حيـاة بـلا موت ، وصحو بلا سهـد
تـرى كـل ما فيها جميـلا مقدسا … يشيـع لك السحر الغريب بما يبدى
عوالـم قد صيغت من الطهر والسنى … تالـق بالارواح ، والحـب والـود
تـود مـن النعماء لو عـدت كـرة … لتقتـل في الدنيا دفاعا عن (اللد)

فيا مفتـدي الاوطان والاهل انني … محييك رغم اليأس ، والسحب الربد
كأنى من الاحزان اذ قمـت راثيـا … على فلـك داجـي الجوانب مسود
تروعني الآهات ممـــا أحســـه … وتنتابني الاشجـان من سورة الوجد
أجيـل كليـل الطرف حولي فلا ارى … سوى التيه، والاوهام، والطلل المكدي
فارتـد لا نفـس مـن اليأس حـرة … ولا اللقب مـن هذا الظلام بمستهدي
فيبكيـك قلبي من اسى الوجد قبلما … تذيـل عليـك العين دمعا على الخد
ولسـت مـن القربى ولكـن لانني … من العرب الاحرار في القرب والبعد
فمثلك من يرثى مدى العمر حسـرة … فأنـت جديـر بالخلـود وبالمجـد
ومثلـك من يبكى دمـاءا وادمعـا … فقـد كنـت صمصاما تجرد من غمد
تجردت تهدي الروح طوعـا وغيـرة … وغيرك يهدى الزيف في الزمن الوغد
فنم في رحاب الخلد تحدو لنا السنى … وتشعل درب المجد .. يا أنبل الجند

جدة

مقبل العيسى



يوسف عبد المسيح ثـروة

البـركان الثـائـر

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

اوغست ستردنبرغ (١٨٤٩ ـ ١٩١٢) كاتب سويدي . علق بالمسرح منذ حداثة سنه ، فتتلمذ عليه ، واصطفاه من دون خلق الله صاحبا وخدينا وخليلا ، حتى امتزجت الدراما ، وهي روح المسرح ، بروحه . وقد اوجد هذا الانسجام بين الفتى والمسرح مناخا مناسبا يتنفس فيه وملاذا يركن اليه ، ومنفذا لطاقته الجبارة ، طاقة الابداع واجتراح المعجزات في هذا الحقل الحيوي من حقول الادب ، الذي كان منذ نشأته على أيدي اسخيلوس وصفوكليس ويوربيدز ، والى الوقت الراهن ، يتلقف بذور العبقرية فيحتضنها حادبا لتنبت نباتا طيبا يزدهي به الوجدان ، وتسمو بثماره النفوس ، وتينع بازدهاره الارواح .

وولد الطفل اوغست لابن ارستقراطي اشتغل في وكالة احدى شركات الملاحة ، وام كانت تخدم عند ابيه ، وولدت له ثلاثة اولاد قبل زواجه منها ، فجاء الى الوجود ، في جو مضطرب عاصف ، وعلى ارض متزلزلة تحت اقدام الاسرة . الام انسانة تافهة ، من عامة الناس ، بيدقة من البيادق ، والاب من ارومة عريقة الحسب والنسب ، فلا يعقل ان يرتفع الدون بعقد الزواج ، ولا يعقل ان يهبط الرفيع بمثل هذا العقد ، وفي بلد مثل السويد ، فيه لاشجار الارومات حرمات ، وفيه لنظام الطبقات تقاليد عريقة ، عميقة الجذور ، غائرة المسارب . وهذا التناقض الطبقي العنيف ، ترك في الطفل اثارا فظيعة جعلته يهاب والده هيبة شديدة ، ويفطن الى مكانة والدته في الهرم الاجتماعي ، منذ نعومة اظافره ، فيتألم لمثل هذه المكانة وما تسبب في النفس البشرية من ضعة وانحطاط وضعف . وهكذا شعر اوغست بوطأة الفقر ، قبل ان يحل الفقر ضيفا ثقيلا على اسرته ، اثر افلاس ابيه ، وقبل ان تموت والدته ، وهو في الثالثة عشرة من عمره ، فتجرعه زوجة ابيه كؤوسا دهاقا من الاهانة والتحقير والازدراء .

الطفل يتألم بفظاعة ، الفقر المدقع يحيط به من كل جهة ، والحرمان يعتصره بمخالبه السود ، والاوهام تنتابه في كل لحظة وحين ، والوساوس تأخذ بتلابيب ذهنه الغض ، والهموم تعتوره آناء الليل واطراف النهار . والصبي ، الذي كان طفلا ، لا يرى في تقادم الزمن ، الا ازديادا في المحن والمآسي والكروب ، والا ضغطا على النفس ، ووزرا يزداد فداحة ، وشرا يتطاول ويتطاير . وحياة عيب ان تسمى حياة ، لانها سجن تنكمش جدرانه وتضيق باحته كلما مرت الايام ، حتى يمسي هذا السجن زنزانة داكنة مريعة تبعث بوابتها على الاشمئزاز والتقزز والنفور ، قبل ان يبعث داخلها على ذلك. وفي هذه البيئة المظلمة ترعرع الصبي حتى بلغ اشده من غير ان ينال قسطا يعتد به من الثقافة المنظمة ، اذ انه لم يستطع اكمال دروسه الجامعية في ابسالا ، لفقر حاله ، وسوء تربيته ، وتشتت مصيره ، بين هذه المهنة وتلك ، من تعليم وصحافة وتمثيل . وقد كان لتمرده على احواله اثره الكبير في تمزيق شخصيته ، لان هذا التمرد انبثق تلقائيا من دخيلة نفسه بصفته رد فعل عشوائي على حياته اليائسة البائسة ، لا بصفته حصيلة مدروسة للاحوال العامة التي تحتضن ـ في مجملها ـ حالته الفردية الخاصة . ذلك انه وجد نفسه فريدا منعزلا عن المجتمع ، لا تربطه به روابط وجدانية ، تيسر له الخروج من ذاتيته ، وتدفع به الى معترك الحياة ، حيث العديد من اضرابه يعانون ما يعاني ويكابدون ما يكابد .

ومع ان ستردنبرغ اراد ان يملأ هذا الفراغ في نفسه بامتزاجه الاصطناعي بالمجتمع من طريق انضمامه الى العديد من الاحزاب المتنافرة والخروج منها ، في قرف وتقزز ، فهو لم يتمكن من القضاء على آفة الوحشة في نفسه ولم يستطع ـ رغم محاولاته كلها ـ من التملص من تبعة الاثم الذي ورثه من امه . وتأثره الكبير بداود ستراوس وارنست رينان واوغست كونت لم يحبه بما كان ينزع اليه من طمأنينة وهدوء ، في مجالات الفكر والعقيدة ، بل زاده ذلك بلبالا ، اذ محا الالحاد الذي اتى به هؤلاء كل معالم اليقين في نفسه القلقة فأصبحت سديما خاويا من الايماضات الباسمة النيرة ، وزادت عقدة الاثم والشعور بالاحتقار الذاتي ، وجنون الاضطهاد من فرديته بل انفراديته التي استمالت بمرور الزمن الى انعزالية يائسة مسكينة اضطرت ـ في آخر مرحلة من مراحل حياته ـ الى التشبث المزري بالهلوسة (العلمية) والبحث عن اسرار الغيب

بقيادة اللاهوتي السويدي سويدينبرغ الذي لم يتورع من الاتصال الروحي بالسموات العلى من طريق الصوفية والوجه اللدني السرمدي ، المنبعث من اغوار النفس ، في لحظات السمو الروحي على سفاسف المادة وشباك اللذة ، وضياع الذات في هذه الدنيا !

فالصراع الذاتي ، صراع التمزق النفسي الذي ينبعث من اتون الذات المحترقة ، هو المفتاح الدرامي الذي يمكن ان نستخدمه في فتح مغاليق فنه الدرامي على مصاريعها ، والتعرف على كنوزه الادبية التي لم ترفع اسم السويد ـ في عالم المسرح عاليا حسب ، بل جعلت منه ، وهو ذلك الفتى المغمور ـ نجما لامعا ناصعا في هذا العالم ايضا ، وهذا الصراع ليس صراعا ذاتيا محضا ، انه نزال عاصف بين شخصين ، يختلفان فكرا وعقيدة واجتهادا ، انه صراع العقائد المتناقضة المتنافرة ، الذي يمتاز بالعنف الدرامي والمواقف المثيرة المرعبة الذاهبة في اثارتها وارعابها الى اقصى الحدود ، ان عمقا في المشاعر المتفجرة ، او قساوة في الايحاءات والاشارات والتلميحات ، او استنزافا للقوى المتقابلة في استمرارية نابضة بالحركة والقسوة والعنف ، وبسيل غير منقطع من الحوار المتماسك الذي يغطي على المشاهد تارة ويغمرها تارة اخرى .

وهذا ما يؤكده ستردنبرغ نفسه ، اذ يقول متحدثا عن مسرحية « الاب » : ان مسرحية الاب تحقيق للدراما العصرية ، وبهذه الصفة فهي شيء بالغ الغرابة ، هي غريبة لان الصراع ينشب بين ارواح لا اشخاص ، فهو حرب عقول لا خناجر ، ولا مدى ولا سم يوضع في عصير توت العليق ، كما في مسرحية « ذات الفراء » . ان ادباء فرنسا لا يزالون حتى يومنا هذا يبحثون عن الصيغة الصحيحة ولكنني وجدتها . » (١) وهذا الصراع الروحي الشديد الوطأة ، الذي يأخذ بنواحي الفكر ، فيبعثر منها ما يستأهل البعثرة والتشتيت ، لا تقوم له قائمة الا في جو متوتر ، متكهرب مشحون بالازمة النفسية في مختلف صورها والوانها ، في جدتها وعرافتها ، في سيماها الظاهرة او في سماتها الباطنية ، التي لا تبدو على السطح الا عندما يكون بركان النفس الانسانية على وشك الانفجار . ومن الغريب حقا ان يصل العمر بستردنبرغ الى الثالثة والستين ، وهو ذلك البركان الثائر الجهنمي ، الذي كانت حممه تتطاير منذ كان في الثالثة عشرة من عمره .

وليس من كاتب ، على ما اعلم ، يمكن ان تبدو شخصيته في كتبه ، كما يبدو ستردنبرغ في جميع ما دبج من روائع ولا سيما تأريخ حياته الذي وضعه ليحرر نفسه من ماضيه من طريق تسجيل هذا الماضي وكان في ذلك دقيقا دقة خارقة ومنظما تنظيما بديعا . وكيف لا يكون كذلك وهو ذلك الفنان العظيم والوصاف الرائع .

صحيح ان ستردنبرغ يعد من قادة المدرسة الطبيعية ، فاذا كان كذلك فما رايه في الطبيعية بصفتها مذهبا ادبيا ، كان له في النصف الثاني من القرن عشر دوي هائل كاد يصم الآذان ؟ : « ليست الطبيعية اسلوبا دراميا كأسلوب « بيك » طريقة فوتوغرافية سهلة ، تتضمن كل شيء حتى ذرة الغبار التي على عدسة الكاميرا . تلك هي الواقعية ، الاسلوب الذي اصبح مؤخرا فنا ، صفيرا ضئيل القيمة لا يميز بين الغابة واشجارها . تلك هي الطبيعية الزائفة التي تعتقد ان الفن يتألف وبكل بساطة من رسم قطعة من الطبيعة وتحديدها بطريقة طبيعية ، وهي بذلك ليست الطبيعية الحق التي تبحث عن اماكن في الحياة تصلح ان تكون سوحا للصراعات العظيمة ، حيث تسعد ان ترى ما لا يمكن رؤيته كل يوم . » (٢) وبهذه الكلمات المعبرة المفسرة ، يحملنا ستردنبرغ على الاهتمام بتفسيره لمسرحياته وتقويمه لها ، وكل ذلك بتعقل مذهل ، وصفاء ذهني بلوري ، من العجيب حقا ، كيف انه تحول ـ وبسرعة ـ الى هذيان محموم ، بل جنون مطبق بين وقت وآخر .

ومع صلة أسلوب ستردنبرغ بالطبيعية ، بتفسيره الخاص لها ، فهو اسلوب متميز محكم فيه اصداء مروعة من حياته ذاتها ، وفيه حمم من بركانه الثائر من غير انقطاع . وهذه الدرامية العنيفة في أسلوب ستردنبرغ هي التي دفعت برنارد شو الى ان يقيمه تقييما خاصا ويجعل منه كاتبا (شكسبيريا) لا مثيل له ، على الرغم من بعد الشقة بين الاثنين من حيث القدرة الفنية والشمولية الجامعة ، واتساع الافق ، وسلامة الاداء ، والبداهة الحوارية . وعذر شو ـ في ذلك ـ انه وجد كاتبا دراميا حقا ، جديرا بهذا اللقب ، بعد طول جفاف ، مرت به اوروبا ، فترة قاربت الثلاثمئة سنة .

اما الخاصية الفريدة في درامية ستردنبرغ ، فهي قدرته الفنية العجيبة ، في استكناه النفس ، والغوص في اعمق اعماقها ، وتصويرها بمهاويها تصويرا امينا حيا صادقا يمتاز بدقته الرائعة ، وحسن سبكه المتين ، وجلال منطقه الرهيب . ومع ضرورة رفض كل ما له صلة بحياته الخاصة من شذوذ بل جنون واطوار غريبة ، في تقييم نتاجه العام ، فان الصورة المتبقية لدينا من ستردنبرغ لا تكتمل الا اذا ادركنا عبقريته الفذة التي استطاعت ان تعبر عن مكنونات نفسه المضطربة تعبيرا جديدا كل الجدة وان تعطي لهذا التعبير الجديد اشكالا طريفة مختلفة ، واسعة التناول ، عميقة الدلالة النفسية ، اصيلة كل الاصالة . فكان بذلك التجديد الفريد ، المعول الاول القاضي على البناء الدرامي القديم المتداعي ، وكان ـ في الوقت نفسه ـ الاستاذ البناء الذي وضع حجر الاساس ، في الكيان الدرامي العصري . ولهذا حق لابسن ، وهو ما هو في الدراما العصرية ان يقول عنه معتزا ومتباهيا : « انني عدو له . ولكنني لا استطيع ان اكتب حرفا واحدا الا حينما يطل علي هذا الرجل الجريء بعينيه المجنونتين (٣) » . وفي هذا الصدد يقول يوجين اونيل : « كان ستردنبرغ طليعة كل ما هو عصري

في مسرحنا الحاضر ... ولا يزال سترندبرغ من بين اكثر العصريين عصرية ، واكبر معبر عن خصائص الصراع الروحي الذي يشكل الدراما – الدم الذي يجري اليوم في شرايين حياتنا (٤)» . وقد بلغ الهوس التقديري بشو حدا جعله يتبرع بجائزة نوبل فيما درته عليه من مال لتهيئة وسائل الانفاق على مشروع يتخصص بترجمة جميع اعمال سترندبرغ الادبية ، على حد قول اريك بنتلي ، الناقد الامريكي المسرحي المعروف . وهذا امر ليس غريبا على شو وقد تبرع بتركته لتحسين الابجدية الانكليزية !

وبينما كان ابسن – في اواخر مسرحياته – يحاول ان يرفع الصخور عن فوهة بركان اللاشعور، وجه سترندبرغ، وهو ساكن هذا البركان ، بل هو البركان متجسدا ، وجه حممه الى اطراف المعمورة من بلده الصغير السويد ، فكنت تجد في هذه الحمم شياطين من نار وابالسة من قار وهلوسات متأنسة ، ونساء متقمصات ارواح المردة والسعالى وجنيات متنازلات عن عروش الفتنة والاغواء ، ليختلطن بابناء البشر ، فينفخن في اجسادهم روح التمرد والثورة ، والخروج على مفاهيم التقاليد والاعراف . وهذه الروح البركانية النارية العاصفة تجد لها اول منفذ في كتابي سترندبرغ «مذكرات مجنون» و «الجحيم» . ومع اهمية هذين الكتابين – فانهما لم يشتهرا الشهرة اللائقة بهما – في العالم الادبي ، ويعزى سبب ذلك على ما ذهب اليه ج .ب بريستلي الى كثرة الكتب البيوغرافية (٥) ، غير ان هذا الراي على وجاهته الظاهرية لا يستند الى سند واقعي. فكم من كتب السيرة قد أنالت اصحابها الشهرة المطلوبة ، وبذلك سبقت كتب الانواع الادبية الاخرى بمراحل ومراحل ولنا ، في الادب الغربي العديد من الامثال !

وسترندبرغ ، في صدد الكشف عن اللاشعور ، رائد عظيم من رواد علم النفس التطبيقي ، اذ انه ، وقد فتح مغاليق هذا العالم المجهول ، جعل التسلل اليه والخروج منه متيسرا لدى الكثير من الكتاب اللاحقين الذين لم يبلغوا شأوه ، في وضوح العبارة ، وصراحة العرض ، وامانة النقل ، وجمال الصياغة ، فضلا عن فضل الريادة ، ومكانة الاكتشاف والاستكشاف الرفيعة الشأن . وهو – في ذلك ند وقرين لفرويد ، على بعد المسافة بينه بصفته اديبا وبين فرويد بصفته عالما . وبهذا الشأن ، شأن الصلة القريبة بين فرويد وسترندبرغ ، يقول اريك بنتلي في كتابه « المسرح الحديث» : « اذا كان فرويد قد اعطانا اشد انواع معالجة هذا الموضوع استنادا الى الحقائق ، فان سترندبرغ لم يزودنا بالحالة التأريخية الواقعية المؤيدة لنظرية فرويد فحسب بل ايضا بالغرض الاسمى الذي يستدفه المذهب الروماني من التحليل النفسي للذات تبعا لمنهاج فرويد .» مع العلم ان كتب السيرة التي دبجها سترندبرغ ظهرت الى الوجود ، قبل ان يشتهر فرويد ويعرف امره في العالم !

ان سترندبرغ ، ثائر على المجتمع البرجوازي ، وثورته على هذا المجتمع له ما يبررها، من حيث كونها تمردا فرديا على احواله المرعبة التي عاشها في طفولته ، وعانى منها ما عانى ، وهي – بصورتها الفردية – تنفيس طبيعي عن حالة وجدانية مضطربة ، تحاول من طريق التعبير الكتابي او المسرحي ، ان تنقل هذه الحالة الوجدانية لتخفيفها وتطهيرها من رواسب الخبث والسفالة والحقد الاعمى ، وتطعيمها بروح الشفقة والمشاركة الوجدانية والتسامي بها ، كما هي الحال بالنسبة الى فكرة التطهير الارإسطية Catharsis

اما كرهه للمرأة ، ذلك الكره الفظيع الذي يتميز حنقا وغيظا ، فقد كان مرده ، في ارجح الوجوه ، هو وفاة والدته ، وهو في بواكير صباه ، واقتران ابيه بمدبرة اعماله، تلك المرأة الذئبة التيجرعته العلقم بالوانه واشكاله وطعومه ، وصبت عليه جامات غضبها لاتفه الاسباب ، وحملت نفسه الشفافة الرقيقة ما لا تطيقه ، واذلته اذلالا عنيفا وسامته الخسف والعسف ، ومرده كذلك خيبته المرة المتكررة في المرأة ، فمع انه تزوج ثلاث مرات من نساء رفيعات الشأن والمحتد ، منذ كان في السادسة والعشرين من عمره ، فانه لم ير في أي منهن من هي جديرة به ، من حيث الثقة والامانة والاستقامة والاخلاص ، ومن هنا ، كانت نفرته الطبيعية من النساء ومن جنسهن بصورة عامة، ذات صلة بتجاربه الخاصة منذ حداثته حتى كهولته .

واكبر شاهد على ما نقول مسرحية «الاب» ففي هذه المسرحية نجد الزوجة الماكرة لورا تستدرج بصورة ايحائية زوجها الكابتن للوقوع في هوة الوهم ، وهم الاعتقاد بأن ابنته «بيرتا» ليست منه ، ومن هذه الهوة دفعت به الى هوة الجنون والموت . وهذا الايحاء المتدرج ، يتسامق من فصل الى اخر حتى يصل الى المنعطف المخطر بأسلوب درامي فيه اصالة ومتانة اخاذتين ، وفيه حوار فكري يتفاوت بين الجزالة والبساطة ، كانه امواج البحر حين تغزو السواحل وحين ترتد منحسرة ، واول ما يبدو هذا الايحاء يبدو على لسان المراسل العسكري « نجيد » وكأن ليس للورا فيه شأن ، وذلك عندما يسأله الكابتن عن فضيحته مع الفتاة الخادم ، انه يقول في معرض الجواب : « لكن كيف يتأكد الرجل انه كان دائما الشخص الوحيد ؟ (٦) » . واذن هذا هو الخيط الاول من الحبكة التي ستتشعب وتتفرق وتلم في نسيج درامي يأخذ بالانفاس ، والفضيحة هذه خلفية واقعية (طبيعية) يستند

---

(١) المسرح الحديث : اريك بنتلي : ترجمة محمد عزيز رفعت .

(٢) المسرحية من ابسن الى اليوت : ريموند وليمز (٣ ، ٤) المسرح الحديث : اريك بنتلي : ترجمة محمد عزيز رفعت . (٥) اعتمدنا – في هذا الرأي على ج.ب.بريستلي في كتابه العظيم «الادبوالانسان الغربي». ي.ع. ثروة . (٦) شواهد مسرحيتي «الاب» و «الانسة جوليا » من ترجمة الاستاذ عبد الحليم البشلاوي .

اليها ستريندبرغ في تصميم كيان المسرحية وتشييدها . ولما كان الكابتن ، على استعداد كل الاستعداد لتلقي الايحاء بسبب من كرهه للمراة بصفة عامة كما في قوله للقس شقيق لورا : « انني كما لو كنت في قفص مليء بالنمور . فاذا لم احتفظ دائما بسيخ من الحديد المحمى تحت انوفهم ، قطعنني اربا اربا في نصف دقيقة . » فلهذه مكانها البارز من حيث كونها نفيرا للمعركة المصيرية بين لورا او الكابتن. والكابتن يكره لورا كرها عنيفا لا بسبب من تأثيرها فيه ، فقد فاض النهر بما فيه من هذا الشاطىء ، بل بسبب أبعد من هذا السبب ، انه تأثيرها في كل الناس حتى في اخيها القس ، ولهذا ما ان يتساءل القس عن حالته العصبية حتى يبادره قائلا : « لعل لورا هي التي ادخلت هذه الفكرة في راسك ؟ ففي خلال العشرين عاما الاخيرة تعاملني كما لو كانت قدمي في القبر . »

وتشتد المعركة اوارا بين الكابتن ولورا ، بحيث يتطاير شررها الى كل الجهات ، ويستمر استنزاف كل منهما للاخر بصورة مستميتة الى حد ان المربية ، وهي تلك المراة الساذجة تفطن الى الامر فتقول : « ... لماذا يستنزف كل منكما حياة الاخر ؟. انتما شخصان تعاملان الناس بمنتهى الطيبة والعطف .. » فيجيبها الكابتن : « نعم . اعرف هذا. هذه المعاملة لي وحدي. اسمعي يا مارجرت، اذا تخليت عني الان انزلت بي ظلما فاحشا ، انهم يتآمرون الان ضدي . » غير ان مارغريت لا ترى في فكرة التآمر غير ابتعاد عن جادة الايمان بالله . ذلك الايمان الذي يتحدث عنه الكابتن بقوله للمربية : « من العجيب انك بمجرد ان تبدئي الحديث عن الله والحب ، يتقلب صوتك جافا ، وتمتلىء عيناك بالحقد والكراهية ... انت بالتأكيد لا تؤمنين الايمان الصحيح . »

ولكن المعركة الحاسمة لا تبدأ الا حين تطرح قضية برتا على بساط البحث : هل ينبغي لها ان تنتقل من البيت الى مدرسة داخلية خارج البلدة ، كما يرى ذلك الاب ام تبقى في البيت تحت ارشاد والدتها ؟ هذا هو السؤال المباشر الذي تدور حوله المسرحية . ثم يحاول الاب ان يستنجد بابنته برتا قبل ان يدخل المعمعة ، ومع ان البنت تطاوعه ــ اول وهلة ــ لكنها تعجز عن ان تقف بجانبه في الساعة الحاسمة . وابوها نفسه يعجز ، ذلك ان للورا (قوة الشيطان) كلما شاءت ان تنفذ ارادتها . وتبدأ المأساة بالتسلق الى الذروة بقولها مستشهدة بقوله : « لا يستطيع احد ان يجزم واذن فانت بالتأكيد لا تستطيع ان تجزم . » فيرد الكابتن : « هل هذه نكتة ؟» وهنا تنبري له لورا قائلة : « لا . وانما انا اطبق نظريتك . ثم من اين لك ان تعلم انني لم اكن غير مخلصة لك ؟» هذه عقارب الشك تطلقها لورا من مكامنها لتنقض على الفريسة المسكينة ، الكابتن الذي يبدأ شاربه بالاهتزاز .

الذئبة تمثل النساء جميعا ، ولذلك فالكابتن يعترف بهذه الحقيقة : « لا نستطيع قتالكن » ويذهب به العجز الى اقصى الحدود ، حين يستفسر عن سبب جبروت النساء من المربية : « ... هل تستطيعين ان تفسري لي كيف تستطعن ايتها النساء ان تعاملن رجلا بالغا كما لو كان طفلا ؟» فترد عليه المربية بقولها : « لا ادري ، ولكن لعل السبب هو انكم جميعا اولاد نساء ، كل واحد منكم ، كبيرا ام صغيرا . » وبدلا من ان تستطرد المربية يؤكد الكابتن قولها : « بينما لا توجد امراة مولودة من رجل . » ويزيد على ذلك بقوله وفيهما فيه من شك مريب: «ولكنني انا والد برتا . قولي يا مارجرت ، انت تعتقدين هذا ، أليس كذلك ؟» هذا الاستعطاف وهذا الاستفهام المريع يقطران اسى وحزنا وفجيعة ، انهما يدلان اوضح ما تكون الدلالة على نفسية ستريندبرغ ، تلك النفسية التي عصفت بها رياح الشكوك الهوج ، فحملتها كانها ريشة تتلاعب بها ما شاء لها اللعب . وبهذه الصورة الصادقة الامينة لواقع مجتمع ستريندبرغ ، وواقع حياته الخاصة يبز هذا الكاتب الفذ الكثير ممن سبقوه وممن جاءوا على اثره ، يبزهم بالبساطة والوضوح والسرد الدرامي الفاجع ، بأسلوب شفاف لطيف ولغة متكاملة فريدة .

وتستمر مطرقة الشك تدق على ذهن الكابتن المتعب فنراه يخاطب مارجرت مرة اخرى : « مارجرت ، من كان والد طفلك ؟» وحين ترد عليه المربية بأنه المحتال جوهانسون يستمر في التساؤل المريب : « هل انت متأكدة انه هو ؟» وهنا لا تجد المربية مندوحة من القول : « انت تتكلم كطفل . بالطبع متأكدة ، لانه كان الرجل الوحيد . » غير ان الكابتن لا يقنع فيصر على طرح هذا السؤال : « ولكن هل كان هو متأكدا انه كان الرجل الوحيد ؟» وعوضا من ان ينتظر هو جوابا منها يجيب بنفسه : « لا. هذا غير ممكن، حتى ولو انك كنت متأكدة . هذا هو الفرق . » وبهذا المنطق الجاف يدور الكابتن في حلقة مفرغة .

اما الطبيب الجديد الذي استقدمته لورا ، فينصح الكابتن بعدم الانجراف باوهامه السود ويلح عليه بوضع الثقة في اصالة ابنته ، لكن الكابتن لا يرى بدا من القول : « وهل هناك محل للثقة عندما يكون الامر متعلقا بامراة ؟ هذا خطير . »

ومما يزيد هذا الشك الدامي فداحة ، حجز لورا لكل مراسلات الكابتن التي كان يؤمل ان تتيح له فرصة للظفر بالصيت والشرف من طريق دراساته العلمية التي اولع بها اشد الولع ، ولذلك ما ان ينكشف هذا السر ، حتى نرى الكابتن يخاطب لورا بقوله المر: « كنت تعلمين حق العلم ان هذا العمل (يعني الدراسات العلمية) كان خليقا ان يسبغ علي يوما ما من الصيت والشرف ما لا تحققه واجباتي العسكرية . ولكنك لا تريدين ان اظفر بأي صيت او شرف ، لان ذلك يزيد من عدم اهميتك . » وهذه المرارة تشتد في دخيلة نفس الكابتن الى حد يضطره الى

الاعتراف المزري : « تصرفاتك معي نجحت في اثارة شكوكي الى حد ان قواي العقلية ستختل عما قريب وسيبدأ عقلي بالشرود . وهذا يعني بداية الجنون الذي تنتظرينه .» ومع ذلك فان الكابتن لا يكتفي بهذا بل هو يتوسل بلورا : « اتضرع اليك كما يتضرع الجريح الى ضربة الموت ... ان تقولي لي كل شيء . الا ترين انني عاجز كالطفل ؟ الا ترين انني اناديك كما لو كنت امي ؟ » ثم ينهار الكابتن المتاع الملسوع ويبكي وهو الرجل الذي تطيع امره الرجال والوحوش ، وهنا يمثل البكاء تخلي هذا الجندي عن سلاحه وعن رموز سلطته بصفته رجلا ، كما يمثل هذا البكاء انتصار المراة المراوغة المحتالة الداهية التي فازت بما تريد ، لان زوجها لم يكن رجلا ، بل كان طفلا ، وكانت هي اما انقلبت الى عشيقة . ومن هنا كانت المراة عدوة وكان الحب بين الجنسين معركة ، وفي ذروة هذه المعركة يمسك الكابتن المجنون بمصباح مضيء ويرمي به في وجه لورا .

اما الصراع المزدوج بين المرأة والرجل بين الطبقةالغنية والطبقة الفقيرة ، بين الخادم جان وجوليا ابنة الكونت فتمثله خير تمثيل واجمله واروعه مسرحية « الانسة جوليا ». يتراءى لجوليا انها جالسة على عمود عال ، من غير ان تعرف كيف ان تنزل، ومجرد نظرة منها الى الارض يجعل الاخيرة تدور بها . ومع ذلك فهي لا تستطيع البقاء حيث هي ، وهي لا تستطيع النزول لانها تفتقد الشجاعة الضرورية لذلك ، فهذه الحيرة بين وجودها حيث هي في اعلى العمود وبين هبوطها الى الارض حيث الطمأنينة والهدوء والسلام تجدو بها لان تتمنى لو أن تغوص في اعماق الارض. انها موجودة حيث شاءت لها اسرتها الغنية ان توجد ، لكن حنين الارض يجذبها بقوة وعنف . ولما كانت عاجزة عن ان تفعل شيئا يخفف وطأة حيرتها ويبدد شكوكها ، نراها تلتفت الى جان وتشرح له حالتها القلقة المرعبة ، وتتساءل : « هل ينتابك شعور كهذا ؟» فيجيبها جان : « لا . في احلامي ، ارى نفسي في غابة مظلمة ، ارقد تحت شجرة طويلة . اريد ان اصعد ... الى القمة، حيث استطيع ان ارى المكان في ضوء الشمس ، اريد ان اسرق العش الذي يحوي البيضة الذهبية ... حتى ولو لم يكن ذلك الا في الحلم .» الغابة المظلمة تعبير رائع عن الفقر الموحش الذي يقتل في النفس المطامح ويبعثر الامال، ويحكم على جهود الانسان بالضياع ، ويسلب منه كرامته وكل ما يعتز به .

وحين يشير جان الى ان التقرب منه لعب بالنار تجيبه جوليا وكلها اعتزاز بمرتبتها الاجتماعية : « هذا لا يسري علي ... انا مؤمنة ضد الحريق .» وكيف لا يكون التعرب منه لعبا بالنار « وقد نشأ في زريبة مع سبعة اخوة واخت وخنزير . وكانت هذه الزريبة في الارض الجرداء حيث لا توجد حتى شجرة .» حقا ان هذا لأمر عجب ، ان بنت الملائكة تتنازل من عليائها وتقترب من شقيق الخنازير لا في المكان والزمان حسب بل في الروح والوجدان أيضا . لقد انقلبت موازين الدنيا والا «ايستطيع ابن فلاح فقير الدخول الى الحديقة واللعب مع ابنة الكونت ؟» وهذا ما فعله جان عندما تيسر له ذلك بعد ان تمرغ في الاوحال والاتربة المبتلة القذرة ، وقد حكى ذلك كله بلسان متردد خجول متلعثم لانه ابن فلاح فقير، فما كان من جوليا الا ان تلطفت بقولها : لا بد ان الفقر امر فظيع » وتعليقا على هذا الكلام يقول جان والنار تتطافر شررا من لسانه : « الكلب يستطيع ان ينام على الاريكة التي تجلس عليها سيدته ، الحصان يستطيع ان ينعم بيد سيدته الشابة تربت له على انفه ، اما الخادم ...» فانسان فقير فهو لهذا السبب وحده اقل شأنا من الكلب الاليف والحصان المدلل . وهنا يسترسل جان في حديث ينبض بالالم الواخز ويذكرها كيف انه استطاع بعد مشقة وعناء ان يسرق نظرة من وجودها الفخم المعطر في الكنيسة التي كان مهدها مذودا في سالف الزمان ، على ما يقال في الكتاب المقدس .

ولما يصبح التقارب تماسا بين جوليا وجان ، لا ترى ابنة الكونت مانعا من سقوط الحواجز بينهما فتقول : « ناديني جوليا . لاتوجد حواجز بيننا» غير ان جان يعرف مرتبته الاجتماعية جيدا فيقول : « لا استطيع . ستظل الحواجز قائمة بيننا ما دمنا نعيش في هذا البيت . انا لا استطيع ان انسى اصلي . ثم هناك الكونت . فما اكاد ارى قفازه على احد الكراسي حتى اشعر بضآلتي . واذا سمعت دقة جرسه ، قفزت من مكاني كالحصان المذعور . » ومع قول جان هذا ، فهو يرى انه اذا ما خرج من هذا البيت فـ « لن ينحني لاحد فهو لم يخلق لذلك ... وبمجرد ان يمسك باول غصن في الشجرة سيتسلقها الى القمة .» وبعد ان يتهيأ كل شيء ، وتسطو ابنة الكونت على مال والدها ، لتستطيع الفرار مع عشيقها ينتابها الخوف والتردد والهلع فتقول : « لا استطيع ان اهرب ، لا استطيع ان اعيش ، لا استطيع ان اموت. ساعدني ، مرني ، اطعك ككلب . » لكن جان سرعان ما يصبح ذلك الحيوان الاليف بدقة واحدة من دقات جرس الكونت فتحل المأساة وتقبل الشرطة بحثا عن اسباب الفضيحة ، وهكذا ينهار التلاقي بين الطبقتين المتناقضتين في هاوية الفضيحة .

بغداد **يوسف عبد المسيح ثروة**



اميـل توفيق

صور وانطباعات من رحلاتي في السودان

بقلم اميل توفيق

* * *

٢ ـ بور سودان

الذاكرة والمذكرات : ان هذه المذكرات التي ادونها الان .. انما تعتمد ـ في اكثرها ـ على الذاكرة ، وفي اقلها على ما سجلته في حينها . ورب سائل يسأل : والذاكرة .. هل هي فردية ؟ هل اتذكر الحوادث كما وقعت لي كفرد ؟ الحقيقة كما يؤكدها العالم الاجتماعي شارل بلوندل مؤلف كتاب « مقدمة في علم النفس الاجتماعي » ان الفرد يتذكر ما وقع له هو وما عاناه .. بجانب احداث عاصرته وعاناها مجتمعه .. احداث عرفها فتسللت ضمن الذاكرة الفردية كانما قد عاناها هو .. ومن هذه الاحداث ، الوقائع التاريخية او الحوادث الكبيرة التي نسمع عنها في الاذاعة والصحف وفي احاديث الناس الذين نعاصرهم .. اذن فالذاكرة الفردية ليست فردية بحتة .. انها فردية جماعية. وليست العبرة عندما نستلهم الذاكرة انها تعطينا هذا المزيج مما عانيناه ومما قد عرفناه عن طريق الجماعة . المهم ان يكون المرء صادقا في التعبير عن ذكرياته ، بحيث يبرز تلك الاحداث التي تتمثل فيها تفاعلاته مع مجتمعه ، وتعكس « وجوده » وكيان خبراته الاجتماعية والمعرفية كما عاناها في وجدانه . وحسبي ان تكون هذه الصورة الانطباعية صادقة ، وبعد ذلك فليعذرني القارىء الكريم اذا ما اكتشف فيها بعض الاخطاء التاريخية او الجغرافية .

المدينة في احتفال : انضممت الى هيئة تدريس العلوم بمدرسة بورسودان الثانوية الحكومية . وتشغل هذه المدرسة مباني ثكنات الجيش المصري ـ سابقا ـ وقت ان كان بالمدينة . كما ان منزل الناظر هو منزل قائد الحامية المصرية وقتئذ . ولقد كان اهتمامي بعد ان غادرت « فندق الزهران » (وكنا قد مكثنا به حوالي الشهر) ان اوثق علاقاتي بمجتمعي الجديد ، وان اتعرف على معالم المدينة ، وان اتكيف مع جوها الطبيعي والاجتماعي على السواء .

وكان ان اقبل يوم ١٧ نوفمبر من سنة ١٩٦١ وهو اول عيد قومي اشاهده يحتفل به السودانيون كذكرى للثورة التي قام بها الرئيس السابق ابراهيم عبود . وكان قد تقرر ان يكون الاحتفال امام مبنى المديرية الواقع على الميناء بشاطىء البحر الاحمر ـ وان يحضر ـ مع الرئيس السابق ، الزعيم السوفياتي ليونيد برجنيف . في الموعد المحدد كنت اجلس في السرادق المقام ، ضمن هيئة التدريس بالمدرسة . وقد اصطفت طوائف من الشعب السوداني بجانب السرادق ، عدا سريات من الجيش وفرقة موسيقية مبدعة . وبحضور الكبار المسؤولين مع الزعيم السوفياتي بدأ الحفل بالموسيقى والتحيات العسكرية والوطنية ، وسط الهتافات الشعبية ، والاغاريد التي كانت بعض النسوة يطلقنها في نغمات حادة مميزة بالمرح والحرارة . وانتهى الحفل بالكلمات التقليدية . بيد ان أهم ما شاهدناه بعد انتهاء الكلمات هو تلك المواكب التي كانت تمر امام المنصة الرئيسية . ذلك ان بورسودان تتميز بوجود جاليات كبيرة . فهناك جالية هندية واخرى مصرية وثالثة سورية ورابعة يونانية وخامسة يمنية . وقد مثلت كل جالية موكبا من المواكب اذكر منها مركبة كانت تستقلها زهرات هنديات وهن يحملن رسما لبوذا ، وقاربا فخما تحمله مركبة وتستقله فتيات جميلات يونانيات تمثلن الملاحة اليونانية . ومركبة اخرى عليها فتاتان سوريتان تمثلان فيما اذكر دمشق وحلب والتجارة السورية . ثم مواكب المدارس والاندية الرياضية ، ثم المؤسسات . ثم طوائف البجه وهم يعتلون ظهور الجمال ويندفعون امام المنصة في جماعات متراصة متزاحمة تجري في سرعة فائقة تسابق الرياح ، وهم يرددون تحيات واغنيات وطنية بلهجاتهم القبلية . ويعرف هذا الاقليم بأنه احد المواطن الهامة لطوائف البجه (ومنهم طائفة كبيرة تعرف باسم (الهدنوه) . ومعظم هؤلاء من الرعاة الذين يرعون في السهول الجبلية بين بورسودان وسنكات . وعلى طول الجزء الشرقي حتى كسلا والاقليم المسمى «البطانة» .

المدينة في لقطات : مدينة بورسودان تقع في منخفض تلتف من جوانبه العديدة سلسلة من الجبال او التلال ، كما يقع جانب منه على البحر الاحمر . وتعتبر المدينة ـ لموقعها هذا ـ انها منطقة للضغط المنخفض ، ومن ثم للرطوبة العالية والحرارة الشديدة ولا سيما ابان شهري يوليو واغسطس . وفي اثناء الشتاء وبعده بقليل يكون الجو العام ربيعيا ومع ذلك فان الجو يتفق مع القول المأثور عند

في قمة الاولمب

☆ ☆ ☆

كم ذا أغالب في هواك ابائي ... واشيح راغبة عن الاغواء
وأظل أوجس حيرة وتخوفا ... مما ألاقي في حمى الاهواء
ويطل طيفك عاتيا متلفعا ... بأنين أعماقي وسر ندائي
فيهز أعطافي ويبهر خافقي ... ويثيرني من غمرة الاغفاء
فلقد جعلت الحب طعم سريرتي ... وحطمت فيها رفعة العذراء
وغمرت دنياي التي عبثت بها ... آيات شوق مفعم الاغراء
بالطيب بالهمس المضمخ بالرؤى ... باللون بالاحلام بالانداء
وحملتني نشوى تغلغل في دمي ... همسات نجوى عذبة الاصداء
وزرعتني في قمة « الاولمب » في ... كنف الهوى نبعا من الالاء
وغدوت ارتع في مراتع غضة ... فيها المدى متلون الايحاء
فأنا العبير المشتهى وأنا الهوى ... ترنو الي سرائر الشعراء

دمشق — سلافة العامري

سكان المدينة : ان اليوم الواحد تتمثل فيه الفصول الاربعة من فرط ما تتغير خلاله الظروف الجوية . وتعتمد المدينة على المياه الجوفية ، ومصدرها ينابيع مياه في بقعة عالية تنحدر منها . وتسمى تلك البقعة (اربعات المياه) ويسمون المصدر (خور اربعات). والمدينة حديثة العهد ، انشئت كميناء بدلا من سواكن الميناء القديم نظرا لان سواكن يزداد على شواطئها وفي اعماق بحارها ترسب التكوينات البحرية من الشعب المرجانية . وكل من يزور سواكن يذكر لها عهدها الاول بقصورها التاريخية المهجورة . ويقولون ان البطل « عثمان دقنه » (احد الابطال المهديين الذين كانت لهم معارك عظيمة دوخ بها الانجليز) .. قد احتفظ السودانيون بسيفه في احد القصور بسواكن .

وقد صممت المدينة على اساس هندسي بحيث يبرز المدينة الرئيسية بشوارعها الرحبة ومبانيها الجديدة — ومن حولها «الديوم» الوطنية التي تقترب من سفوح تلك التلال. وهذه الديوم يسكنها السكان الاصليون وعامة الوطنيين وقبائل البجه . ومن هذه الديوم : ديم كوريا ، ديم شاطىء ، ديم مدينة ، ديم جابر الخ. كما ان التصميم يخصص للمنطقة الصناعية ناحية بعيدة عن مركز المدينة الى الغرب . ومبنى الجمرك يقع على البر الشرقي من الميناء كما ان شركات البترول ومعمل التكرير الجديد الذي تديره شركة شل تشغل اماكن بعيدة عن مركز المدينة — على شاطىء البحر الى الجنوب الشرقي ، وكل من يغادر بورسودان او يقبل اليها بالطائرة او بالقطار وخاصة في المساء يشاهد لهبا وادخنة عالية تتصاعد من فوهة معمل التكرير البترولي . فتنبىء عن هذه المنطقة وعن انابيبها الضخمة الممتدة في الساحة المنبسطة امام الشاطىء.

ونظرا لوجود تلك الجبال والمناطق العالية المتاخمة للمدينة ، فقد تتعرض سفوحها للسيل الذي ينحدر من القمم اذا ما هطلت الامطار على المرتفعات . وهذا ما تتعرض له المدينة وخاصة الديوم . واذكر ان في يناير ١٩٦٢ نزل سيل جارف اكتسح ما امامه فغمر بعض المزروعات (التي تعتمد على الامطار) كما غطى كثيرا من الابنية الخشبية واتلف حاجيات كثيرة وامتعة واثاثات .

ولقد كانت هذه الكارثة حافزا لاطلاق الطاقات الاجتماعية والفنية للاسعاف وللاغاثة وتقديم المعونات . وقد أصاب التلف اكثر ما اصاب سكان ديم كوريا .. حتى ان بعضا من جماعات الصبية كانوا يذكرون في شيء من الانشاد الراقص :

« يوفنا » الخميس بالليل ... ديم كوريا شاله السيل

هذا — وعدا الشركات البترولية التي اشرت اليها — فان بورسودان تتميز بوجود شركة لصناعة الزيوت المستخرجة من بذرة القطن ، ومصنع للزراير ، وملاحات لاستخراج ملح الطعام . اما الخطوط البحرية السودانية فقد دعمتها الحكومة بانشاء خط ملاحي تجاري منتظم بين بورسودان ولندن فشيدت ثلاث سفن جديدة ، شيدتها في يوغوسلافيا هي أركويت وسنار وسواكن . وقد حضرت الاحتفال بتدشين الباخرة (سنار) في الميناء في اوائل عام ١٩٦٢.

« للمذكرات بقية »

شبين الكوم — ج٠ع٠م — اميل توفيق

لماذا هذا السيل من الاسئلة التي لا تنتهي ؟ يا سيدي قاضي التحقيق .. اعترفت لك انني قتلته ، ولو بعث الان من قبره لما ترددت لحظة في اقتراف الجريمة . هذا التحقيق متى تفرغ منه ؟. المسألة بسيطة .. هل جزاء القتل الا القتل ؟ اقتلوني .. وكفاني انني انتقمت لكرامتي المهيضة ، وأصارحك انني عندما رأيته يتخبط في دمه غمرتني سعادة لا حد لها ، ودوت ضحكتي ندية تنشر عبق فرحتي الطاغية .. وركلت جثته بقدمي ، وصرخت : الى جهنم وبئس المصير .

وسارعت الى الشرطة ، وصرخت : قتلت زوجي .

وحملقوا في مذهولين . وخيل اليهم انني مجنونة .. واخذوا يتاملون سحنتي المكفهرة، وشعري المشعث ، والاحمرار الذي ينزو في عيني . وتهالكت على كرسي ، وتتابعت انفاسي مبهورة .. وهتفت : الا تصدقونني ؟ تعالوا معي لتروه .. وساروا معي الى البيت ، وتكاثر اللغط ، وعلا الضجيج ، وصرخوا : مجرمة .

وأمسك احدهم بذراعي ، وتملصت منه ، وزعقت : لن أهرب . خذوني الى الموت .. ولكن أرجوكم ان تسمحوا لي ببعض الدقائق لاتخذ زينتي ، وارتدي أجمل ثوب عندي لاستقبل عريسي الجديد ... الموت ..

وأبوا علي تحقيق هذه الامنية التي مارت في اعماقي . وتمتمت : ألا تريدونني ان أذهب الى زوجي الجديد في جلوة ساحرة ؟

وانثالت الاسئلة من كبيرهم .. لماذا قتلت زوجك ؟ ما الاسباب التي حدت بك الى الجريمة ؟

وتمشى في عروقي حنق هائل . وصحت ، وقد تجمعت كراهيتي في نبرات صوتي : اية جريمة ؟ اشكروني .. لانني انقذت العالم من وحش رهيب .

ورحت يا سيادة قاضي التحقيق ارقص ، وأغني ، واصوب نظراتي الشذرة الى جثة زوجي المسجاة متشفية ، واقتادوني الى السجن ، وأمضيت ليلة هنيئة رأيت فيها زوجي تنوشه الافاعي في الجحيم . لماذا يا سيدي القاضي ترامقني بهذه النظرات التي تلتمع فيها الشفقة وينبض فيها الالم الدفين؟ هل انت حزين على شبابي الذي سيذهب قبل الاوان ؟ لا .. يا سيدي .. لقد رأيت من الحياة ما جعلني اكرهها .. وحبب الي الموت الرحيم الذي جعله الله خاتمة المطاف لالامنا .. نحن المعذبون في الارض .. الذين يتجرعون دنا من الآلام لتطفو فيها قطرة من الفرح ... وأعيذك يا سيدي القاضي ان تأسى لجمالي.. هذا الجمال الساحر الذي تراه امامك تمثالا للاسى الرهيب ، كما كتبت احدى الصحف متحدثة عني .. لا.. يا سيدي . انا تمثال أجسد الفرح الحي ، والامل الناعش ، لكل فتاة يخدعها الرجل ، ويدوس على انسانيتها باقدامه النتنة كما فعل زوجي .

اليك ماساتي يا سيدي القاضي .. لا لادفع الجريمة عني ، فانا اتوق الى الموت لا كفارة عما تسمونها جريمة .. بل كفارة عن بؤس الحياة . كان جميع زميلاتي يحسدنني لجمالي الذي وهبه الله لي بسخاء .. وعندما أسير في الشارع تحملق بي العيون مأخوذة بي . ولست بمبالغة يا سيدي .. وأنت ترى بقية هذا الجمال الذي أذواه حزني .. وأكمل الله نعمته علي ، فمنحني ذكاء متوقدا ، وطيبة قلب ، ووداعة روح ، حتى أصبحت الفتاة المثالية التي يرى فيها أترابها الفضيلة مجسمة .. أضف الى هذا ثراء اهلي ، فقد كانوا على بسطة في الجاه والمجد .. كل شيء يحف بي بهيج لاذ يفري بي . وتكاثر



بقلم الدكتور محمد حاج حسين

الشباب يخطبون ودي ، وما فتحت مغاليق قلبي لاحد .. نداء خفي يهيب بي ان أبتعد عن الرجل .. كانني احس بالماساة الدامية التي تتربص بي . غير ان الزحام كان شديدا وباستمرار يكلمني اهلي عن خطيب جديد .. كلهم من كبار الناس يتحلون بالمال والثقافة والاخلاق الفاضلة . وكنت ادفع هذه البلايا عني ، واعالن اهلي برغبتي في اتمام دراستي، فينصاعون على مضض .. بعد ان يتفلسوا زاعمين ان الفتاة لم تخلق الا للزواج .

وذات يوم قالت لي امي : جاءك خطيب جديد يا أميرة . وزويت ما بين حاجبي وقلت : انت تعلمين يا ماما رغبتي ..

ـ لا .. يا أميرة . ابوك مصمم على تزويجك ، فالخطيب أعجبه ، وفيه كل المزايا الجميلة التي تهيء لك السعادة الزوجية .

ـ هل تضايقتم مني ؟ .



ـ لماذا تقولين هذا ؟ انت تعلمين انك أحب أولادنا الينا .

ـ لماذا اذن هذا الالحاح الشديد على تزويجي ؟.

ـ ابوك منزعج من الحاح الخطاب عليك..

ـ ماما ، لا بد من انهاء دراستي الجامعية.

ـ انت يا اميرة فينهاية الدراسة الثانوية ..وفيها الكفاية لثقافة الفتاة .

وأقسم لك بالله .. انني عندما دلفت الى غرفتي امضيت ليلة رهيبة لم يغمض لي فيها جفن..كنت اسمع اصواتا خفية تغمغم حينا، وتتضح حينا تنذرني بشر يهم بي . وقفزت امامي اشباح مخيفة في موكب عريض .. وبكيت ، وبللت دموعي سريري .. واعتزمت في الصباح ان ارفض هذه الخطبة .. بيد ان الظروف كانت اقوى مني .. وهل يستطيع انسان ان يغالب قدره يا سيادة القاضي ؟.

وعرفت هوية خطيبي ..الذي جاء من بلد بعيد الى مدينتنا يبحث عن زوجة عريقة المحتد ، جميلة .. فاضلة .. مثقفة تليق به .. ووجد ضالته بي بعد ان سأل كثيرا ، ودله اولاد الحلال الي .. ورآني ، وانا ذاهبة الى المدرسة ، فجن بي ، وتقدم الى والدي يحمل ميزات ضخمة : .. اسرة كريمة ، فاحشة الثراء .. واخلاق كلها فضائل .. وشهادة المحاماة .. وشباب دافق .. المهم يا سيدي القاضي .. ان والدي اعجب به .. وصمم على تزويجي منه ..فكان القدر وضع على عينيه عصابة لا يرى من خلالها سوى فضائل هذا الخطيب الجديد ، ومزاياه الكريمة . وزارنا في البيت ، ودعاني والدي للتعرف به وأحجمت ، وتوسلت كثيرا لاعفائي .. وقلت : زوجوني دون ان اراه . وأصر والدي .. ولا أكتمك يا سيدي القاضي انني اعجبت به لاول وهلة ، فقد كانت شخصيته القوية واضحة ، والذكاء يشع من عينيه ، والرجولة الحية تنساب في جسده.. انه لون خاص من الشباب الذي يأسر الفتاة، ولا تدري كيف استولى عليها . كانت البراءة تنصع في محياه ، والحياء يبرق في عينيه، ونبرات صوته قهارة تتغلغل الى القلب لتعزف على أوتاره لحن الحياة . ونفس العصابة التي وضعت على عيني والدي وضعت على عيني .. فقد تسلل الى حنايا فؤادي ، ولاول مرة في حياتي أحسست بهذا الميل الغامض الذي يجذب الفتاة نحو الرجل .. وجدت فيه أملي .. كنت غريرة لم تحنكني التجربة. وانى لي ان الج الى دخيلته ، وأنا لم اكمل السابعة عشرة من عمري .

وتم الزواج بسرعة .. في اقل من شهر.. وأمضينا شهر عسل في أوربا نعمت فيه بالسعادة ، وحمدت الله ان ساق الي هذا

الزوج الكريم السجايا .

وعدنا الى بلده ، واسكنني دارة انيقة ، زهت بأجمل الاثاث ، وافخره ، واندمجت في حياتي الجديدة ، ومضت بي الايـام هنيئة ... غير انها لم تزد عن ثلاثة اشهر.. ذقت فيها نعيم الحياة الزوجية ... لم تمـر غيمة واحدة في سمائنا الصاحية .. كان يزداد كل يوم حبا لي .. وتراقصت امامـي أطياف الهناء بأجنحتها الذهبية .. ما أجمل الحياة في هذه الالفة الجميلة .. لقد همت به حبا .. الحياة جميلة يا سيدي القاضـي .. ولكنها في الوقت نفسه غرارة غادرة .. انها تقدم لنا باقة الورد ، وفي تلافيفهـا الخنجر المسمـوم .. وذات صبيحة مشرقة نزلت الى حديقة البيت لاقطف بعض الازهار .. وعدت الى الصالون ، ورحت انسق الورود الجميلة .. عندما رن جرس الباب ..

وفتحت للطارق .. ووجدت امامي امرأة لم تقع عيناي عليها قبلا ، تدخل الى الصالون دون ان تعيرني لفتة .. ومعها طفلان راحـا يقفزان ويركضان ويمرحان .. وشدهت .. واستطعت ان اقول اخيرا بلهجة باردة : اهلا وسهـلا .

وصبت علي نظرات تضطرم بحقد فظيع . ودبت الرعدة في أوصالي ، وخالجني شعور مبهم بأن كارثة توشك ان تقع ..

وتمتمت : ماذا تريدين يا سيدتي ؟.

ـ انت ماذا تريدين ؟.

وأنفضت رأسي اليها .. لقد اتخذ وجهها قناعا من الكراهية الرهيبة ، وسيطرت على أعصابي وقلت : لعلك اخطأت الطريق ..

وصرخت بصوت مرنان : كلا يا سيدتي . انا اعرف مكاني .

ـ هنا بيت المحامي سعيد ابراهيم .

وتفجرت منها قهقهة وخازة وصاحت : وهل انا بحاجة الى من يدلني على بيتي ..

ـ بيتـك ؟..

ـ وزوجي يا سيدتي الفاضلة .

ـ زوجـك ؟..

ـ أنت غلطانة .. هذا بيتنا .

ـ لا .. يا سارقة الازواج .

وتسرب الي الخوف الشديد . ووضح لي انها مجنونة .. وبحركة لا شعورية اردت الفرار منها .. الى مكتب زوجي لينقذني من هذه النشبـة .. ولكنها اسرعت الي ،وأمسكت بي في ضراوة وصرخت :

هذا بيتي .. يا خاطفة زوجي .

وتخلصت منها بعد جهد ، وابتعدت قليلا واكتسحني تيار بارد في جسدي .

واستطردت بصوتها المجوج : هذا بيتي ، وسعيد زوجي ، وهذان طفلاه . ونفر عرق ازرق في جبهتي ، وصحت : كذابة ..

ـ انت .. تقولين هذا .. يا مخربـة البيـوت ؟ وهجمت علي ، ويداها ممدودتان تود ان تخنقني .. وتعالى صراخي ، وهرع زوجي الينا ، واسرعت احتمي به ، ودفنت رأسي في صدره ليدفع عني الشر المتحفز لتدميري .. وهمهمت : سامي هذه المجنونة.

غير انني سرعان ما أفقت على الواقع المرير عندما رأيت الطفلين يسرعان اليه ، وهمـا يصرخان : بابا .. بابا ..

وتركني .. اجل تركني يا سيدي القاضي .. وحمل الطفلين ، وراح يداعبهمـا ويدللهما..وأنا فريسة لزوبعة طفرت في ضلوعي تمعن فيها تمزيقا وتقويضا .. وغامت عيناي بظلام شديد التعتيم .. واستطعت من خلال هذه الظلمات التي ترنق علي ان اسيطر على اعصابي الذبيحة .. وقلت : ما معنى هذا يا سعيـد ؟

ـ أعني .. يا اميرة ..

وقتلني بلهجته المترددة . وصرخت : هل هذه زوجتـك ؟.

ـ اميرة .. ارجو ان تفهميني .

ـ غشاش .

ـ اميرة ، سأوضح لك كل شيء ..

ـ لست بحاجة الى التوضيح.هذه زوجتك الاولى ام طفليك .. وأنا الزوجة الثانية .. واخرجت المهزلة باتقان شديد .. لانك تقدر ان تنفق على بيتيـن ..

ـ هذا ما حدث يا أميرة ..

وفجاة سمعت زوجته الاولى تزعق : اذن.. لهذا ارسلتني الى اهلي وطلبت الي ان امكث عندهم اربعة اشهر لاضطرارك الى السفـر الى أوروبا .. يا ظالم ..

وتعالى صراخها ، واختلط ببكاء الطفلين ، وجثم علي كابوس مرير .. واسود النور في عيني ، وجف حلقي .. وكاد قلبي يقف عـن الخفقان .. وركضت الى غرفتي ، وأوصدت الباب خلفي ، وتحجرت الدموع في عيني ، وتمثل لي هول الموقف .. وجمد تفكيري ، وشلت ارادتي .. وأصبحت لوعة خرساء.. ولو اقتلعتني الاعاصير ، وطوحت بي فـي الجحيم لكان اندى علي من هذه الجريمة التي مثلها زوجي .. اليس قتل روح بريئـة بجريمة ؟ انا الذي تهالك علي خيرة الشبان اصل الى هذه النهاية الممضة .. زوجةثانية.

ووثبت من السرير ، ودنوت من النافذة بخطى وثيقة .. وتطلعت الى الارض التـي تعج بالحياة . لحظة واحدة واستريح . قفزة الى الارض .. الام الحنون .. وينتهي كل شـيء .

وترامى الي صوته .. وأحسست بالخنجر المسموم يمزق جسدي ، اميرة .. ارجوك.. افتحـي ..

وعدت الى سريري ، ودفنت نفسي فيه.. وبعد قليل عراه اليأس من استجابتي له .. وكف عن قرع الباب . وهدأت الحركة فـي البيت . ماذا أفعل يا رب ؟ وبهت علي الامور .. وعدت ثانية الى النافذة . وثبة واحدة.. فيها راحتي الابدية ، وفجأة ومضت في ذهني بارقة انارت لي الطريق . وتراجعت ..ودوت في ارجاء الغرفـة ضحكتي .. وجدت .. الخـلاص ..

والقيت نظرة على ساعتي .. كانت الحادية عشرة .. وأرهفت سمعي ، لا حركة ولا نامة .. هل خرج مع زوجه؟ وتسللت من غرفتي ، وتأكد حدسي . لقد ذهب معها ، يزور لهـا الكلام حتى ترضى بالواقع .. وسيرقصان معا على أشلائي .. وطفقت ادب في البيت فاقدة الوعي .. ورحت افتش في مكتب زوجي.. عن المسدس الذي كان يحتفظ به .. ووجدته اخيرا .. وتناولته بيد وثيقة .. وقبلته .. ما أروع حديده البارد .. الذي يحمل الـي الخـلاص المنشـود .. وخرجت من المكتب ودرت في ارجاء البيت تسعفني غصـات متلاحقة .. متى يعود زوجي الوفي ؟.وألقيت نظرة على المرآة ، وعراني الخوف .. يـا الهي ما هذه السحنة التي تطالعني من خلال صقالها .. هل سمعت قصة الغول .. لقـد تقمصت بي يا سيدي القاضي .. وخفـت من نفسي ، وانهلت على المرآة بيدي أحطمها .. ونفر الدم . وفجأة سمعت المفتاح يدور في قفل الباب .. وامسكت المسدس بيـد حازمة . جاء زوجي . دقت ساعة الخلاص . وتواريت وراء باب احدى الغرف .. ولـم أتردد عندما ابصرته .. وانطلقت الرصاصات متتابعة لها موسيقى اخاذة .. انتشت لهـا روحي .. وقادتني الى عالم جميل وضيء..

سيدي القاضي .. انني في فجر عمري.. ارملة منبوذة .. وأريد الزواج .. بسرعـة فائقة .. أتوق الى عريس جديد .. فعجل به .. ارحمني .. اراه يدنو مني باسم الثغر .. طلق المحيا .. أهلا وسهلا بك يا حبيبي .. ايها الموت .. يا عريسي الجديد .. وثق يا سيادة القاضي انه لن يخدعني كما فعـل زوجي الاول .. انقذني يا سيادة القاضي .. واسرع بالحكم .. لالتقي بعريسي الحبيب .

مكة المكرمة — محمد حاج حسين



الفلكلور الفنائي عند العرب

تاليف نسيب الاختيار – ١١٧ صفحة – حجم كبير – منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق – مطبعة الجريدة الرسمية بدمشق

الذكرى قديمة بمعرفة الاديب الكبير الاستاذ نسيب الاختيار ، ترجع الى خوالي السنين ، وهي ترسم منذ كانت الخطوط الاصيلة في شخصيته الهادئة ، وصورته المطمئنة ، فلقد كانت السنون تكر وتتبدل والاستاذ نسيب الاختيار ثابت على سمته الواحد ، تتبدل في عمره الايام والليالي ، أما هو فكان جوهرا ثابتا نقيا ، لا يريم عما عهد فيه من الصفاء والمودة ، والدأب الادبي ، في ظلال الصمت والهدوء .

اني حين أكتب عن رفاق النشأة والدراسة ، أحس بالسنين عائدة بي الى تلك السوانح الندايا حين كان جيلنا يتطلع الى اعزاز الفكر بطلب العلم ، ومواصلة البحث والدرس ، والسير في جهاد الروح من أجل المعرفة ، دون رغبة في منصب او شهرة . وجيلنا بنى نفسه بنفسه ولم يتح له مشجعون يوفرون في عمره انتظار السنين ، فقد كان الادباء الكبار – وهم قليل – ذاهبين بأنفسهم فلم ينظروا الينا الا بأعين ضيقة ، وكنا نتوسل بالعيون دون الافواه لنشؤا شأوهم ، وملء قلوبنا اكبار لهم واحترام . لقد كنا نحارب وحدنا بغير معين . ولما بدأنا نكتب ونؤلف وتظهر اسماؤنا في الصحف والمجلات شعرنا بفرحة الظفر ، لاننا أدركنا بشباتنا الادبي، منزلة مرموقة ، ثم محسدة .

واليوم حين قرأت كتاب اخي الاستاذ نسيب الاختيار « الفلكلور الفنائي عند العرب » اخذت استرجع تلك المشاهد الآفلة من تاريخنا الادبي لجيلنا في ديار الشام.والاستاذ الاختيار ذو ود صداح للادب العربي وتاريخه يعيش في ظليلهما الوارف ، فاذا كتب فيهما حسبت التاريخ الادبي يسعى اليك ، من شدة استحضار حوادثه ، وتشخيصها في نفسه وفكره . وكتابه هذا الجديد ، يرد الماضي الى الحاضر ، ويمزج بين آفاق العروبية بفن واحد هو فن الاغنية العربية في القديم والحديث . وهو لم يتناول التاريخ التكويني للاغاني العربية ، فحسب ابي الفرج الاصفهاني ان يكون قد عرف سر اغانينا الدفينة ، ثم اغلق على الزمان بابها وكسر مفتاحه ورماه في البحر – على حد من حدود أقوالنا في الاعجاز والمضيعة والتشتيت ، وترك الداء بلا دواء – .

بدأ الاستاذ نسيب الاختيار كتابه هذا النفيس ، بالكلام على ماهية التاريخ الموسيقي عند العرب ، وماذا يفهم منه ، ووجد للقول سبيلا في التقليد البشري لدواعي الفيبيات السماوية في تحدر كل المواهب الفنية من الخلاق وحده . وهذه الفكرة تذكرني بقولة قالها علماء الجمال بأن مصدر الجمال المطلق هو الله تعالى . فالفناء كما يراه الاستاذ الاختيار متحدر من السماء ، وبذلك كان يقول المؤلف الموسيقي القديم «كمال الدين الفاضل» .

وقد عجبت كيف لم يقل المؤلف الى ذلك بأن الفناء الهام الهي سجعت به الطيور قبل الانسان ، وان الانسان قلد غناءها ، وركب على تناغيمها كلامه الموزون ، ثم المقفى .

ثم افسح الاستاذ الاختيار للشعر مكانا الى جانب الفناء ، اذ كانت كل الشعوب المتأدبة قد بدأت شعرها بالفناء ، وعلى هذا كنت وجدت هذه الفكرة في حوار لي مع صديقي الدكتور شوقي ضيف أستاذ الادب العربي بجامعة القاهرة ، حين اخذنا في الكلام على الشاعر الجاهلي الاعشى ميمون فقلنا ان تسميته بصناجة العرب دليل على انه كان يغني شعره بنفسه وينشده بتناغيم تمشي مع اوزانه . وقد ذكر الاستاذ المؤلف في كتابه هذا ضربا من ذلك في غناء اسحق الموصلي لشعره ودنانير وعريب والمغنية محبوبة . ثم خاض المؤلف خلال التطور الفنائي للشعر العربي حتى أعطاه طوابع فارسية ورومية ، واغريقية عتيقة ..

وفي الموضوع الثاني من كتابه تكلم على الاغنية الفولكلورية وهو يريد بها الاغنية التي تنبع من الشعب وتحتوي خواطره ومظاهره وسيرته وحكاياته وتقاليده ، اذ ان كلمة « الفولكلور » التي دخلت عالمنا الادبي المعاصر أصبحت تحمل هذي المفاهيم الجديدة ، فمارس المؤلف النابغ المقابلة بين الاغنية الادبية والاغنية الشعبية ، وكيف كانت الآداب القديمة تتجهم للاغنية الشعبية وتزدي بها، حتى استطاعت الاغنية الشعبية ان تفرض نفسها – كما يقول المؤلف – على المؤرخين فاعترفوا بها ، ثم نما الفناء الشعبي حتى برز في العهود العربية الحديثة في الوان متفاوتة تزين كل قطر من اقطار العرب بزهو خاص ، وطلاوة متفاوتة .

وفي هذا الفصل جال المؤلف كل مجال في مزايا الاغنيات الشعبية وبخاصة المعاصرة التي اخذت تحتوي على تمجيد البطولة وتاريخ الحركات القومية مع حفاظها على تسجيل التقاليد الفنائية في الطوابع الدائمة لكل شعب . والجيد حقا في منهج البحث لدى الاستاذ الاختيار انه يموج في الموضوع على هبوب الفكر الماثل لهبوب النسيم ، فلا يشعر القارىء بنفسه وانما يحس انه غير منفصل عن المؤلف فهو يحاوره ويجالسه ويستمع اليه بطول بال وأناة . وكذلك شعرت وانا اسمع خلال كلامه على اغاني «التزيكان» انني اسمع الاغاني البوهيمية وأشاهد حلقتها في سمر من اسمار الليل في اكناف صحراء او في تلافيف غابة ، حيث موقد النار يتلهب وفتاة سابية المحاسن منشورة الربطة والضفائر وفي أذنيها حلق ذهبي كبير يتدلى ، وهي ترقص على ميدان الانغام من شعبها الجوال ينمنم بالاصبع على الاوتار بها عشيق لها بيده قيثار ، وهي تقفز حافية القدمين خصرها دقيق وصدرها متدفق بحجم الهوى الذي توزعه خطواتها الساحرة على القبيلة الجوالة .

ثم اتخذ الكاتب الاختيار سبيله الى الكلام على الاغنية الراقصة فحمل الى الفناء الحركات ، وأكاد أقول اعطى الفناء عمقه الثالث ليكون مجسما . وقد ذهبت الى ان كلمة الرقص لم تكن معروفة عند العرب القدامى بهذه الحركات الايقاعية في الحظو والتثني ، وانما هي تدل في كلام العرب المعجمي على الانخفاض والارتفاع في الحركة او السرعة. ولست من مذهبه في هذا الرأي فان شعر العرب في الجاهلية دل على الرقص بعينه في معناه المعروف فاذا كان قد قال قائلهم وقد ذكرت هذا الشطر : « رقص القلوص براكب مستعجل » فانما عنى الشاعر الاستعارة من الرقص الحقيقي الى تثني البعيد المستعجل والعرب وبخاصة في الجاهلية سكبوا على المطايا اوصافا محيرة فالاعشى ميمون وصف ناقته بان راكبها يحسب نفسه في مجال الريح ، في مروحة او تحسبه ثملا من الشراب ، من طول ما يتثنى فوق ناقته وهي تخفق به :

كأن راكبها رهن بمروحة   اذا تدلت به أو راكب ثمل

والاختيار يعرف حقا وهو استاذ التذوق من الشعر الفرنسي وعاشر كتب « فاليري » زمنا ما هي ماهية الرقص عند بول فاليري جبار الشعر الفربي المعاصر فيما عناه بنظريته الرقصية في كتابه « النفس

والرقص » الذي كان يترجمها الى العربية عميدنا وصديقنا الدكتور طه حسين — وهي مني تحية اليه في هذا المقال وقد جد بي الشوق الى لقائه — .

وبحسب الاستاذ الاختيار ان يسحب البحث العلمي في الرقص من مغانيه القديمة لدى العرب والشعوب حتى الرقص الديني في حلقات الذكر وحلقات الصوفية ثم الى أيامنا في رقصات الدبكة ، وتمشى في دراسته الفنية الشعبية ، متكلما على الاغاني الخفيفة فالاغاني البدوية ثم عاد الى الوان من الفناء في العصر الجاهلي ، ثم تحدر الى العصر الاموي ، حتى توسط العصر العباسي بين مجددي الغناء والمحافظين على التراث القديم فيه ، وخرج باسم جديد « للمواليا » وهي الاغاني النواحية التي كان ينوح بها الموالي على قبور البرامكة بعد البطشة الكبرى التي بطشها بهم الخليفة هارون الرشيد حين شاؤا العلو عليه . ولم يكتف الاستاذ الاختيار بالشرق فذهب بقارئه الى الاندلس ليسمعه صدى الاغاني الاندلسية ، ومن لنا بها ، وقد رأيتها قد ذهبت الفاظها وباق في آهات الغناء الاسباني امتدادها فأتمثل سماعه وأتخيل رؤيته على صفق الصنيجات الخشبية (الكاستانفيت) والضرب بالارجل على الارض ورفع الايدي في الهواء ثم وضعها وراء الظهر والخصور مع حركات الرأس وهزات القوام كله . لكن الاستاذ المؤلف تناول البحث من الوجهة الكلاسيكية فاخذ بالموشحات ، ولقد كنت وجدت في كتاب الادب الاندلسي الذي الفه « خونثالث » أغنيات شعبية اسبانية ملاى بالكلام العربي الشعبي ، واستدل بهذا الكلام مؤلف هذا الكتاب الفخم الذي نقله الى العربية صديقنا الكاتب العبقري الدكتور حسين مؤنس، على مدى التأثير العربي في الشعر الشعبي الاسباني المنسحب الى عصرنا الحديث .

وان الدارس لتاريخ الادب العربي حين يلم بعصور الانحطاط وبخاصة ما كان منها قبيل النهضة العربية الحديثة ، ينبغي ان يشفي البحث من الآثار الفنائية في هذه العصور فلا يجدها مجموعة كلها في مكان واحد . ولا يشفيه منها شربة واحدة لكن الدارسين لادب عصور الانحطاط سيجدون في موضوع « الفنون السبعة » بكتاب الاستاذ الاختيار مطلبهم من الوان الموشح والدوبيت والمواليا والكان كان والقوما .

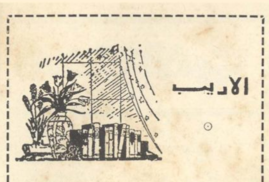
وما اجد علي من حرج اذ ارسلت تحية للعميد الثاني أخي الدكتور احمد مكي الذي يعرف مدى ما أعددت من الدراسة لعصور الانحطاط ، فمن حيث تلقني الان جبال مكة المقرون اسمه بها ، احييه على رفيف الشوق والتوق الى اللقاء القريب بحول الله .

وقد ختم المؤلف الاختيار كتابه بالكلام على الاغاني الشعبية في سورية ومصر وفي لبنان والعراق .

وقد حانت كلمة النقد بعد هذا التحليل والتجوال في العرض فان الشاعر والمؤلف الموسيقي الروماني «دفورجاك» قد درس مثل الاستاذ الاختيار ، اغاني الشعب في قومه وعروقه السلافية ، وقد حار في امرها اذ لم يجد لها لونا خاصا وانما وجدها عامة الطوابع ، فجال في البلاد الرومانية سنين يجمع الغناء الشعبي ويسجله ، وكان موسيقيا موهوبا فعكف على ترويق هذي الاغاني حتى سكبها في قالب خالد واحد ، فهي الان تغنى على ضفاف البحر الاسود على نغمات من روح وطنه ودمه .

ففيم لم يقترح الاستاذ الاختيار عملا كعمل « دفورجاك الروماني » ينهض به عربي من الموسيقيين الموهوبين ليروق الاغاني الشعبية العربية في عصرنا فيكون لها طابع خاص ، ولعل العراق ولبنان والمغرب تحمل هذه الطوابع في الفناء الشعبي ظواهر ثابتة اكثر من سائر اقطار العرب.

مكة المكرمة — زكي المحاسني



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

دمعــــة .. فابتسامــة

تأليف يحيى حقي ـ ١٤٥ صفحة ـ سلسلة الكتاب الذهبي ـ مطابع روز اليـوسف بالقاهرة

كثيرا ما نعيب على الكاتب استطراده ، وكثيرا ما نقبل اعتذار المستطرد على مضض ، حالات قليلة تلك التي عشقنا فيها الاستطراد ، وتمنينا الا ينهي المستطرد حديثه ، وكأننا وسط عشيرتنا بالقرية نجلس على شوق ـ بعد عناء يوم كامل ـ في مقهى ليلي على الجسر ، و «الشاعر» يتابع قصة لمعارك ابي زيد والزناتي وسيف بن ذي يزن ، تماما كما حدث لنا مع « مستر بيكويك » التي بدأها تشارلز ديكنز باحدى المجلات وهو لا يعرف الى أي ارض ستلقي به ، او أي صحبة يختار . فجاءت تصويرا رائعا لشخصية جذابة سيقت الى عدة مواقف لكشف سوءات المجتمع .

ولا بد انك ستحس هذا الخدر اللذيذ ، والنشوة الساحرة ، وأنت تتابع رحلة يحيى حقي التي لا تريد لها ، متى بدأتها ، انتهاء.. وحلته الصوفية العطرة في الفصل الاول من كتابه «دمعة.. فابتسامة». فالكتاب رغم انه مجموعة مقالات متفرقة ، الا اننا نستطيع ان نقسمه الى ثلاثة فصول ، يشمل الفصل الاول منها تلك المقالات التي عنيتها اساسا بالحديث عن الاستطراد . فهو يبدأ بفترة من حياته ، كان فيها نباتيا يحرم اكل اللحم صفاء للروح . واذا بصفاء الروح يشده للحديث عن الصوفية ، ثم ينتقل من الصوفية الى مقابر استانبول ومساجدها ومقاهيها وذكرياته بها ، فليلة القدر في مسجد أيا صوفيا ، فمهد مصطفى كمال واحالته المسجد الى متحف . ثم المقارنة بين مساجد استانبول ومساجد القاهرة ذات المآذن الشامخة الراسخة ، لا كمئذنة مسجد أيا صوفيا « المسلوعة كالابرة » . وفي النهاية يعود بنا الى المذهب النباتي ليهجره ، فيهجرنا حديث عذب على مدى تسع مقالات.

ورغم التحاق يحيى حقي بالسلك السياسي ، واشتغاله في بلاد كثيرة (الحجاز وتركيا وايطاليا وفرنسا وليبيا) الا ان تركيا كثيرا ما تستأثر بذكرياته . هل لانه عمل بها في صدر شبابه ، ام لحنينه لشكل وحدوى ما ، أم لان العرق يمد ، وفي امتداده حنين وشوق الى بلد أجداده ؟..ربما .. وربما لهذه الاسبــاب مجتمعة . ومهما تعددت الاسباب ، فالشيء المؤكد وفاء يحيى حقي ، الوفاء حتى للاطلال !. هذا الوفاء الذي دفعه للتأريخ لكثير من اصدقائه ، واكثر من حديثه عن أمه . ولا شك ان هذه السيدة الجليلة هي مفتاح شخصيته ، والاهتمام بدراستها يعيننا كثيرا على تفهم كاتبنا الكبير . فما صفاء ذهنه ودقته وسماحة خلقه ـ في نظرنا ـ الا امتداد مثقف لشخصيتها . والبيئة المنزلية كثيرا ما تكون مادة ذكرياته كما نرى في « مولد النبي»، بل وتدخل كذلك في صوره .. وتشبيهاته « حقا ان به قبة هائلة ـ مسجد أيا صوفيا ـ هي مضرب الامثال في القباب ، لكنها كانت في نظري غطاء منكفئا علينا اشبه شيء بالمكبة من الخوص فوق طبق تكتم نجاره » .

اما الفصل الثاني فلا رابط بين مقالاته ، يبدأه بالحديث عن فلسطين ، وينهيه « بدرس من غاندي». واذا سمح لنا بالتقييم فسنجد ان اقرب هذه المقالات اتخاذا لسمات البحث هي محاولة غوصه في نفسية « الفدائي » . واكثرها عطرا «مولد النبي» واحتفال والدته وصديقتها به . وأخفها ظلا « ملامح جيل من خلال صيحة » و « رثاء» ساعة . في الاول يسوق حديثا فكها عن مناقشة رسالة دكتوراه بالازهر ، وفي الثاني يرثي ساعة نشلت منه مع بعض الآراء الطيبة ، منها رأي في النشل يقول «النشل سرقة واستهزاء ، سطو واستعباط». وأشد هذه المقالات مرارة ، او نقدا مرا كشفه لمأساة اللجان الفنية في بلادنا (اللجنة !!) ويدخل هذا المقال ايضا في زمرة المقالات الساخرة ، وكثيرا ما يتداخل النقد والسخرية اللاذعة وخفة الظل في كتاباته . اما «اوكازيون» الذي يصف فيه تصرفات امرأة متصابية لا تعترف بالزمن في «اوكازيون» فهو رغم فكاهته صورة قديمة بالية لم يضف اليها الكاتب جديدا ، وهو على الجملة لا يرتفع الى كتابات يحيى حقي . ولا ريب ان مقال «نكبة روحية» يضخم احساسنا بمأساة فلسطين ، ويزيد جراحنا بهول هذه الجريمة اللانسانية وبشاعة مخلفاتها . غير ان الشكل الذي صب فيه هذا المقال يوحي بالصنعة البريئة عنها النكبة . ان الحديث عن فلسطين يجب ان ينساب كما ينساب الدمع الرقراق ، او يتفجر كما تتفجر براكين الغضب . اما ان نختار له شكل الموائد المستديرة ، ونخلق له محاورين ، ونبدأه باهتبال مناسبة سفر امير او كبير.فشيء لم تقبله روحي ، وسألت عقلي فوجدته ايضا يعافه .

ان القضية تتابى على كل قالب ليس لها ، كما انها اكبر من كل كبير مهما كبر ، وهي المناسبة دائما فلا تحتاج الى مناسبة .

والفصل الثالث من اجل الفن ، ونقسمه الى ثلاثة مباحث :

١ ـ الادب ـ ٢ ـ المسرح ـ ٣ ـ الفنان ..

واذا ابتدأنا بالمبحث الثالث فسنجد امامنا خمسة فنانين ، افرد لكل منهم مقالا خاصا . منهم اسماء عرفناها من «فجر النهضة المصرية»، واسماء لم نكن قد سمعنا بها من قبل ، مثل فؤاد المرابط صاحب البحوث القيمة في تاريخ الفنون الجميلة ، ومحمد الصادق حسين الكاتب والمترجم الذي قضى سنين غير قليلة بالاشتراك مع الاب دي بوركي من دير الدومنيكان ، في ترجمة المزامير . ولا يقف وفاء يحيى حقي عند حدود الاصدقاء ، بل يتعداه الى حد الاشتراك في « تشييع جنازة كازينو .. » البسفور . وهذا المقال شاهد قيم على استطراديات يحيى حقي داخل المقال الواحد دون الشعور بالحيدة عن الموضوع ، فيبدأه بمعول البلدية وهو يأتي على الكازينو ، وبالاحساس بالحسرة ، وشعراء العرب الباكين على الاطلال ، وتوفيق حبيب الصحفي العجوز الذي كان يرثي المقاهي والدور اذا ما أغلقت ، او هدمت . وتاريخ هذا الصحفي وطريقته في الكتابة ، ومن نهجوا نهجه .. خليفته زكي مبارك .. ونعمان عاشور خليفة زكي مبارك «فمقالات نعمان كمسرحياته بابها مفتوح على مصراعيه .. شأن باب الكريم المضياف السبهللي » ـ الا يصدق هذا القول ايضا على مقالات استاذنا ولو الى حد او مفهوم ما ؟ ـ . وعلى ذكر كلمة « البسفور » ينتقل بنا الى استانبول ، وأسباب اصطياف الخديو عباس الثاني وسراة مصر بها . ثم يأتي على تاريخ الكازينو منذ بنائه بعد الحرب الاولى ، والفرق التي مثلت على مسرحه ، وقصة غرام مؤلف بصاحبة فرقة . والكازينو ابان الحرب الثانية ، تاريخه الشريف وتاريخه المزري ـ وفي السر نقول لاستاذنا أن شكوكو ظهر بعد الحرب الثانية لا قبلها او ابانها ـ ، وقتل الراقصة امتثال فوزي على خشبة مسرحه ، ابشع حادث قتل عرفته الاوساط الفنية بمصر ، وهكذا ..

ومسرح حقي لا يقوم على البوهيميين كما حدث في بدء النهضة المسرحية عندنا ـ وان سمعنا دبيب الحنين اليهم في نفسه ـ فعصر الرومانسية قد انتهى.(الفن والبوهيمية) . والتمثيل ليس اصواتا متهدجة ، وصرخات عالية ، واشارات نارية ، ونظرات حامية ، ونهنهة على البارد « ليس هذا بمسرح بل ديكور مسرح ... انه ليس تمثيلا .. بل تمثيلا لتمثيل ما ينبغي ان يكون عليه التمثيل !... ان جوهر المسرح قد اختفى تحت كوم من رماد متعدد الالوان » (مسرح الفلابة) . ولا ينبغي ان يسعى المسرح الى الربح وحده ، والا انحدر بالحيدة عن الفرض ، كما انحدر وحاد مسرح البسفور الذي تحول الى كباريه في أواخر ايامه .

اما الادب فينفرد بمقالين .. المقال الاول « من أجل قصيدة واحدة !!» تاريخ لقصيدة « البردة » ـ للشاعر شرف الدين ابي عبدالله محمد بن سعيد البوصيري المصري تلميذ سيدي مرسي ابي العباس صاحب المقام العالي بالاسكندرية ـ من خلال الضجة التي أثيرت حولها حتى نهج شوقي نهجها . والثاني « ناتاشا . او كيف شفيت من الادب الروسي » فيه يحكي ولهه بالادب الروسي ، وعشقه لبطلة قصصه الفاتنة ، التي غالبا ما كان اسمها ناتاشا ، وقصة شفائه من (هوس) هذا الادب (وعشق ناتاشا) حينما تعرف بعجوز مهمومة اسمها ناتاشا ، فاستيقظ من أوهامه وطلق الادب الروسي . ولا ريب ان الكاتب ما قصد غير الفكاهة ، أو الذكرى في اطار فكه . اذ لا يعقل ان يترك الادب ..أي ادب ، رجل كيحيى حقي من أجل سبب كهذا !!.. غير أن هذه الملحة التي ربما انجرف اليها الكاتب من اجل خاتمة طريفة ، قد أصابتنا بالشك في بعض الوقائع الواردة بالمجموعة ، كمشاهدته لمناقشة الدكتوراه بالازهر .. خلع الاحذية قبل دخول الرواق العباسي حيث تجري المناقشة .. وقيام الجميع بغتة على صوت المؤذن يدعو لصلاة المغرب .. وافتقاد طالب الدكتوراه لحذائه .. وصيحته التي عبر بها عن ملامح جيل مضى : « يا خلق يا هو : اعملوا معروف ، لايموني على الجزمة ومش عاوز الشهادة بتاعتكم ، الله الغني عنها .. »

أيعقل !!.. ايعقل ان يتصرف طالب دكتوراه هذا التصرف ؟!!

كدنا نصدق ، لولا الحديث عن ناتاشا ، الذي أدركنا منه ان الكاتب يضحي بالصدق ، عندما (تحبك) النكتة . ألست معي في ان الاغراق في الفكاهة .. كالاغراق في أي شيء..يذهب بالصدق.. يغرقه ؟.

من الواضح ان الاستاذ حقي قد حل مشكلته مع اللغة ، فلم يعد يرهب العامية ، ويخنقها بالاقواس . بل جاءت عاميته في السياق أصيلة . فهي ليست غريبة يخشى على الفصحى منها فيضيق عليها الخناق وتحاط بالاسوار . ولو وجدنا لفظا في هذه المجموعة بين قوسين فلسبب آخر كالتأكيد عليه مثلا . غير ان الكاتب يتردد في بعض الاحيان في ضم بعض الالفاظ العامية الى قاموسه ، فيلجأ الى الاقواس من جديد ، وان ظهرت بعد فترة متحررة منها . والعامية في سرده لا تظل عامية ، بل تخضع لكافة قواعد الفصحى .

واذا شئنا التصنيف فسنضع أغلب مقالات هذا الكتاب ، ضمن ذكريات المؤلف التي بدأها بكتاب « خليها على الله » ونرجو ان يتفرغ بعض الوقت لمتابعتها ..

حلوان ـ ج.ع.م. محمد محمود عبد الرزاق

•

كتاب الاعرابيات

تاليف خليل مردم بك ـ تحقيق عدنان مردم بك وأحمد الجندي ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المطبعة الهاشمية بدمشق

لا بد لمن يزور دمشق من المدن البعيدة ، ان يقضي بعض الوقت ، متنقلا بين المكتبات ، يبحث بين رفوفها الكثيرة عن زاد يشبع نهمه ، ويسد فراغه ، ويروي غليله الى المطالعة ... ذلك ان المدن الصغيرة توفر كثيرا من الفراغ الذي لا تجده في المدن الكبيرة يقضيه البعض في الاعمال الفكرية ، والبعض الاخر في المقاهي المملة ، والبعض الثالث على الارصفة الباهتة تسكعا وثرثرة .

وقبل عودتي من دمشق كان علي ان أزور مجمع اللغة العربية ، واجتمع بالاستاذ احمد الجندي ، لانعم حينا بنكاته ، واظفر بمرحه اللطيف المحبب ، وآنس بصفاء صراحته ، وبعد الزيارة دفع الي بكتاب الاعرابيات الذي وصل حديثا من المطبعة ، فحملته معي في جملة ما حملت من كتب .. وآثرت ان اقراه قبل سواه ، رغم انه كتاب اكاديمي علمي ، يحملك الى هذا الزمن البعيد ، زمن الاعراب ، أهل الفصاحة واللسن .. فهو ليس كتاب قصة ، او ديوان شعر ، او مسرحية ... ومع هذا فقد اقبلت عليه لأعود بالذكرى الى سنوات الدراسة ... يوم كنا نلقى هذه المعلومات مكدسة تكديسا ، ليس فيها شيء من التنسيق ، وحسن العرض ، فنتفر منها ، ونعرض عنها ، ونتهافت على سواها مما يسوق المتعة ، ويريح الاعصاب ، ويروح عن النفس .

فما هو كتاب الاعرابيات ؟ وكيف يعرض هذه المعلومات اللغوية ؟ يقول الاستاذ عدنان مردم بك ـ نجل الخليل ـ في المقدمة الجيدة التي كتبها عن والده والكتاب معا ، ان أباه الفه في سن مبكرة ، بعد كتابه الاول « جمهرة المغنين » فجاء فريدا من نوعه ، اذ لم يسبق لباحث ان خص الاعراب بكتاب مستقل ، يستقصي بكل شاردة عنهم ، وانما كنت تطالع نتفا لاخبار مبعثرة ومجتزأة في كتب شتى لا تعطي القارىء صورة واضحة عن اولئك الاعراب ، ولا تفيهم حقهم على ما أسدوه للغتنا العربية من أياد بيضاء ، لانهم ـ كما يقول المؤلف ـ هم أساتذة شيوخ اللغة العربية ، ومادة الرواة .

لقد جمع الخليل هذه النتف المتناثرة في كتاب درس به الاعراب دراسة مركزة ، وفاهم به حقهم ، وترجم فيه لأربعين رجل من الاعراب تقريبا كأبي زيد الكلابي وابي محلم الشيباني ، وجهاد الاشجعي ، وابي مسحل ، والنابغة الشيباني ، وشبيب برصاء ...

ثم يتحدث الكتاب عن أثر الاعراب في اللغة ، ويبين انهم مادة الرواة ، ومرجعهم والاساتذة الاولون لكل من الف او قرأ ، او تفقه في العربية وعلومها ، ويذكر كيف ان الرواة كانوا يسيرون اليهم في قلب البادية ، مستهينين بالصعاب والمسافات ، ليسمعوا الاخبار الموثوقة ، ويدونوها ، ويتلقوا المعلومات الصحيحة من مصادرها ، وهكذا فعل كل

من الخليل بن احمد ، وخلف الاحمر ، ويونس الضبي ، والكسائي ، والنضر بن الشميل ...

وعندما كان سكان الحواضر يختلفون على مسالة ادبية ما ، كانوا يقصدون هؤلاء الاعراب الضاربين في بطون الصحاري ، ليفتوا لهم فيها ، ويحسموا الخلاف ، ويضرب مثالا على ذلك « المسالة الزنبورية» التي اختلف فيها سيبويه البصري والكسائي الكوفي بحضرة الخليفة هارون الرشيد ، ولما استفحل الخصام بين المتناظرين ، وهما عمدة بلديهما ، ارتضيا بالاعراب حكما يفصل بينهما ، وكان بباب الخليفة الرشيد من الاعراب: أبو مفقس وابو دثار، وابو الجراح ، وابو ثروان.

ويقص الكتاب مناظرة اخرى جرت بين ابي محمد اليزيدي ، وبين الكسائي ، بحضرة المهدي العباسي ، وكيف قضى بينهما احد الاعراب.

ولم يغفل الكتاب عن ذكر شروط الرواية ، ومن تقبل روايته ، ويخصص فصلا لبحث اختلاف لغات العرب ، اعني لهجاتهم ، وآخر لفساد لغتهم بعد القرن الرابع الهجري ، اذ فشا اللحن ، وانقطعت الرواية عنهم ، فصاروا يقولون مثلا « هذه عصاتي » والصواب هذه عصاي .

اما عن اسلوب الاعراب في الكلام فيذكر من خصائصه : حسن السبك ، ومتانة الرصف والبعد عن الصنعة ، ومجافاة المحسنات اللفظية ، وانواع البديع ، الا ما جاء عفوا عن غير كد ولا تعمد ، والاسترسال مع الطبع ، ومثول السذاجة ، في كل ما يقولون ، وتصوير الخوالج والوجدانات .

يرى الشاعر الخليل ان لشعر الاعراب شدة الاسر ، وسمو النسق ، ووضوح المعاني ، وكرم الديباجة ، وان شعرهم تصوير خالص لاهوائهم ونزعاتهم واميالهم ، ذلك ان الاعرابي لا يقول الشعر الا بما يشعر ، وبهذا ياتي شعره صورة عن نفسه ، وترجمانا عن ضميره.

ثم يتطرق لذكر افصح قبائل الاعراب ، لان الاعراب ليسوا على مستوى واحد في الفصاحة ، وانما هم درجات ، وقد اجمع الرواة على ان قيس وتميم واسد وعليا هوازن وهم خمس قبائل افصح العرب ، وكلما ابتعدنا الى اطراف الجزيرة العربية قلت الفصاحة ، ولم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم كلخم وجذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ، ولا عن قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى .. يقرؤون بالعبرانية ، ولا عن تغلب واليمن فانهم كانوا مجاورين لليونان ...

وفي الفصل الاخير الذي يسبق الترجمات ، يتحدث عن منازل العرب وموقع كل قبيلة خارج الجزيرة العربية في مصر والمغرب والشام، والجزيرة والفرات والعراق ، ولم يشر الى منازلهم في الجزيرة العربية لانها ـ كما يقول ـ بلادهم التي درجوا عليها ، معتمدا في هذه المعلومات على كتاب « صبح الاعشى » للقلقشندي .

اما الخاتمة فكانت مختارات للخليل في ابواب : الحكمة والادب، والحماسة والفخر ، والوصف ، والغزل ، والرثاء ، والمديح ، والهجاء ... انتقاها بذوقه الدقيق ، وطبعه الصافي ، وحسه المرهف ، ويكفي ان نقول انها مختارات شاعر ...

ان كتاب الاعرابيات يعتبر خير مرجع لطلاب علوم اللغة العربية ، ولمن يريد التبحر ، والتعمق في فهم ماضي اللغة العربية قبل ان تطلنا بهذا الشكل ، وما هي عمليات التنسيق والاصطفاء التي مرت بها خلال عهودها الطويلة .

اللاذقية — عيسى فتوح

عبد الله القصيمي

كبرياء التاريخ في مأزق

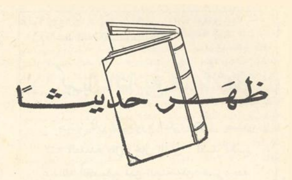
حينما كان في طوره الفكري الاول يصدر كتبه العديدة قال رجال الدين : لقد دفع عبدالله القصيمي ثمن الجنة ولن يضيره بعد ذلك ما يصنع .

وفي طوره الثاني حينما اصدر كتابه « هذي هي الاغلال » كتب عنه الاستاذ اسماعيل مظهر افتتاحية « المقتطف » ـ وكان رئيس تحريرها حينذاك ـ وقال ان هذه هي المرة الاولى التي يكتب فيها « المقتطف » افتتاحية عن أي كتاب يصدر في الشرق او الغرب. وقال الشيخ شلتوت شيخ الازهر ان الذي يحزنه ان الازهر وعمره الفعام لم ينل شرف تأليف مثل هذا الكتاب .

وفي طوره الثالث حينما اصدر كتابه الاخير « العالم ليس عقلا » قال عنه الاستاذ مخائيل نعيمه ، انه اعظم كتاب صدر عن اللغة العربية في جميع العصور . وجاء عن الكتاب في مجلة « العلوم » ، ان ذنب هذا الكتاب انه اكبر كثيرا من المجتمعات التي صدر فيها .

وفي طوره الرابع يصدر بعد اسابيع كتابه الجديد بالعنوان الكبير المثير « كبرياء التاريخ في مازق » .

فماذا يريد أن يقول في هذا الكتاب؟..



● الظل وحارس المقبرة – مجموعة شعرية – فايز خضور – لوحة الغلاف بريشة نعيم اسماعيل – ٩٦ صفحة – مطابع ابن زيدون بدمشق.

● احمد فارس الشدياق – تاليف محمد عبد الغني حسن – ٢٠٠ صفحة – الكتاب ٥٠ في سلسلة اعلام العرب – منشورات الدار المصرية للتاليف والترجمة – دار مصر للطباعة بالقاهرة.

● دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة – تاليف الدكتور صادق جلال العظم استاذ الفلسفة المساعد في الجامعة الامريكية ببيروت – ٢٥٤ صفحة – حجم كبير – الحلقة الثانية من السلسلة الفلسفية – منشورات كلية العلوم والاداب في جامعة بيروت الامريكية – (لم يذكر اسم المطبعة)

● كتاب الاعرابيات – تاليف خليل مردم بك ١٨٩٥ / ١٩٥٩ – وقف على طبعه وشرح حواشيه عدنان مردم بك واحمد الجندي – ٣٢٨ صفحة – حجم كبير – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – المطبعة الهاشمية بدمشق.

● الفترة الحرجة – دراسات نقدية – تاليف رياض نجيب الرئس – الغلاف تصميم لور غريب – ١٩٤ صفحة – حجم كبير – منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت – مطبعة التلغراف الحديثة ببيروت.

● من وحي السفر – تاليف ناجي جواد – ١٢٠ صفحة – حجم كبير – مطبوعات اينانا ببغداد – مطبعة الارشاد ببغداد.

● الخطيئة البيضاء – رواية – تاليف ميخائيل معوض – ٢٠٨ صفحة – منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت – المطبعة الكاثوليكية ببيروت.

● النغم الازرق – مجموعة شعرية – حسن عبدالله القرشي – ١١٢ صفحة – منشورات دار الاداب ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة).

● طريق آخر – سبع مسرحيات في فصل واحد – تاليف نور الدين فارس – ١٥٦ صفحة – منشورات مكتب افلام السعدون – مطبعة السعدون ببغداد.

● تاريخ قطر العام – تاليف العميد محمود بهجت سنان – ٣٠٤ صفحة – حجم كبير – ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه – مطبعة المعارف ببغداد.

● العراق في الشعر العربي والمهجري – تاليف الدكتور محسن جمال الدين – ٤٩٦ صفحة – حجم كبير – ساعدت جامعة بغداد على نشره – مطبعة الارشاد ببغداد.

● المعاجم اللغوية : في ضوء دراسات علم اللغة الحديث – تاليف الدكتور محمد احمد ابو الفرج – ١٥٠ صفحة – منشورات دار النهضة العربية ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة).

● ملامح المجتمع القومي : دراسة في العالم العربي – تاليف الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى – ٢٧٦ صفحة – مطابع النقري ببيروت.

● قصائد الطوفان – مجموعة شعرية – اماطانيوس ميخائيل – ٩٠ صفحة – مطبعة الشباب، مكتبة دار اللواء في القامشلي بسورية.

● التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة – باقلام : عبد القدوس الانصاري، عبد الفتاح ابي مدين وابي تراب الظاهري – ١٤٢ صفحة – كتاب المنهل – مطابع دار الاصفهاني بجدة.

● الريحاني ومعاصروه : رسائل الادباء اليه – جمعها وحققها وقدم لها البرت الريحاني – ٣٧٨ صفحة – منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت.

● سبعة ابواب – ذكريات – تاليف عبد الكريم غلاب – تقديم الدكتور محمد مندور – ٢٠٤ صفحة – منشورات دار المعارف بمصر – مطابع دار المعارف بمصر.

● سلامة موسى وازمة الضمير العربي – تاليف غالي شكري – ٣٠٠ صفحة – حجم كبير – منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت – (لم يذكر اسم المطبعة).

● ادباء ومواقف – تاليف رجاء نقاش – ٢٥٢ صفحة – حجم كبير – منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت – (لم يذكر اسم المطبعة)

● الاسس العصبية للسلوك – تاليف موفق الحمداني – ٢٠٠ صفحة – حجم كبير – منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت – (لم يذكر اسم المطبعة).

● الانفجار السكاني – تاليف مارستون بيتس – ترجمة جلال زريق – مراجعة عبد الملك الناشف – ٣٨٤ صفحة – حجم كبير – منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت – (لم يذكر اسم المطبعة).

● صناعة النفط في العراق – تاليف مشعل حمودات – ٩٠ صفحة – حجم كبير – منشورات مجلة المعلم الجديد – مطبعة وزارة التربية ببغداد.

● المجاهد العربي محمد علي الطاهر – وصف بقلم الشيخ محمد طه الولي من علماء بيروت – ٢٠ صفحة – حجم كبير – مطبعة البيان ببيروت.

● الكتاب الابيض – تحقيق عن رسالة الماجستير « دراسة في اصوات المد في التجويد القرآني » – تاليف حسن عوف – ٢٤ صفحة – حجم كبير – مطبعة المصري بالاسكندرية.

● تدريب معلمي الابتدائي، بحث في التربية المقارنة – من منشورات اليونسكو – ترجمة الدكتور عمر شخاشيرو والدكتورة مارسيل عبسي والدكتور بدر الدين قاسم – ٢٨٠ صفحة – حجم كبير – منشورات مجلة المعلم العربي بدمشق – (لم يذكر اسم المطبعة).

● سير ارباب الفكر والسياسة في لبنان – تاليف جورج عارج سعادة – ٢٥٤ صفحة – منشورات دار وكالة النشر العربية – مطابع التلغراف الحديثة ببيروت.

● وصية هتلر السياسية – جمع المعلومات وترجمها ابراهيم الحلو – ١٢٠ صفحة – كتاب الجمهور – منشورات مؤسسة الجمهور للطباعة والنشر ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة).

● Islam et capitalisme — par Maxime Rodinson — 304 pages — Aux Editions du Seuil, Paris — Imprimerie Aubin à Ligugé (Vienne), France

جولة الأديب في شهر

حديث مع موسى سليمان عن مهرجانات الشابي في تونس

احتفاء بذكرى شاعر تونس الاكبر ابو القاسم الشابي اقامت الحكومة التونسية مهرجانا كبيرا دعت اليه ادباء العرب وقد مثل لبنان بشخص الدكتور موسى سليمان والدكتور عمر فروخ والاستاذ ابراهيم عبده الخوري مندوبا عن مجلة « الاديب » . ليست هذه هي المرة الاولى التي تدعو فيها تونس البلدان العربية لزيارة توطد عرى الاخوة والتفاهم بين مختلف هذه البلدان فلقد سبق لها ان دعت الصحافيين العرب لزيارة ربوعها . كان من المقرر ان يكون مهرجان الشابي خلال المدة الواقعة بين ٢٤ و ٢٨ شباط الا ان الدعوة امتدت حتى ٥ اذار بعدما احتج عدد من المدن التونسية لعدم شمول برنامج المهرجان على زيارة ادباء العرب لتلك المدن وخاصة مدينة «توزر» مسقط رأس الشابي .

اما الادباء العرب الذين اشتركوا بالمهرجان بالاضافة الى ممثلي لبنان فهم الاساتذة : عيسى الناعوري وفائز الغول عن الاردن ، صالح الخرفي وعبد الله شريط عن الجزائر ، مقبل العيسى وحسن القرشي عن السعودية ، فاضل خلف عن الكويت ، عبد المجيد بن جلون وعبد الكريم غلاب عن المغرب وفاضل الجمالي رئيس وزراء العراق الاسبق والاستاذ في جامعة تونس حاليا وعدد كبير من الادباء التونسيين كما اشتركت جميع الهيئات الرسمية التونسية في هذا المهرجان .

تحدث الدكتور موسى سليمان ، استاذ الادب العربي في الجامعة الاميركية وممثل لبنان في هذه الذكرى عن المهرجان فقال :

لقد قسم المهرجان الى اربعة اقسام : (١) الايام الدراسية (٢) الحفلات (٣) الزيارات (٤) الرحلات .

القسم الاول من المهرجان ، اي الايام الدراسية كانت عبارة عن مواضيع وابحاث تدور حول شعر ابو القاسم الشابي وادبه وقد اشترك فيها جميع المشتركين في المهرجان وتطرق كل منهم الى ناحية من نواحي ادب ابو القاسم .

والقسم الثاني اي الحفلات ، فقد كانت كثيرة متنوعة اقامها تكريما للوفود المشتركة كل من دار الاذاعة والتلفزة التونسية والمسرح التونسي ووزير الشؤون الثقافية والقومية وغيرهم من الهيئات الرسمية ، وقد جاءت هذه الحفلات متنوعة ممتعة من موسيقية وغنائية وتمثيلية وفلكلورية واجتماعية .

اما القسم الثالث ، اي الزيارات ، فقد كان على انواع منه ما هو للمتاحف والجوامع والاثار التاريخية ومنه ما هو للاسواق والمكتبات ومناطق الاحياء .

واستطرد الدكتور سليمان يقول : ان اكثر ما يسترعي الانظار ويدلل على مدى اهتمام الحكومة التونسية بتراثها الادبي هو متحف التصوير المخصص للوحات المستوحاة من قصائد الشابي والمتحف الذي يضم جميع مخلفات ابو القاسم وما كتب عنه في المجلات والصحف والكتب .

وانتقل محدثي الى الكلام عن القسم الرابع من المهرجان وهو قسم الرحلات فقال :

لقد اضيف هذا القسم الى البرنامج بناء على طلب عدد من المدن التونسية ابت الا ان تشترك في تكريم الادباء العرب منها القيروان وزغوان والقصرين وقفصة وصفاقس ومنستير مسقط رأس الرئيس بورقيبة وسوسه وتوزر التي انجبت ابو القاسم الشابي

لقد كانت هذه الرحلة غاية في المتعة وزادها تاريخا كتاب وضعه اثناء الرحلة نفسها العالم التونسي عثمان الكعاك واسماه «الرحلة الشابية » وصف فيه بدقة جميع المدن التاريخية التي زارتها الوفود وطبعه على الالة الكاتبة ووزعه على جميع المشتركين بالمهرجان . ولقد بلغت حفاوة التونسيين بالادباء العرب حدا لا يوصف حتى ان جماهير الشعب كانت تستقبل الوفود في كل مدينة بالطبول والزمور ومختلف الالات الموسيقية .

ـ سالت الدكتور موسى سليمان عن انطباعاته من خلال هذه الزيارة فقال :

لم اكن انتظر ان ارى تونس على هذا المقدار من التقدم العمراني المفرح حقا ، فلقد لمست جهودا جبارة في جميع المرافق الحياتية عندهم ، ولقد لمست نظاما قلما تجده في بلد حديث العهد بالاستقلال كتونس .

ـ هل لكم ان تحدثونا عن اكثر ما لفتكم في تونس ؟

ان اكثر ما يلفت النظر حقا في تونس هو توزيع الاراضي على الفلاحين بطريقة هي غاية في التنظيم ، وبناء القرى النموذجية وتكليف الفلاحين من السكان الاعتناء بها فانت واجد في كل مكان قرية نموذجية تكاد تكون كاملة ، وجميع سكانها يعملون بجد ونشاط في سبيل تحسين احوالهم .

ـ والحركة الصناعية ؟

ان المصانع والمعامل التي زرناها تضاهي مثيلاتها في الغرب . فهناك مصانع القطن التي تحوله الى غزل ومصانع الصوف والخشب الذي يعمل فيها الوف العمال ومصانع السجاد على اختلاف انواعه والوانه وكذلك معامل العطور والجلد والخزف وجميعها تكاد تكون خلية من النحل يعمل كل فرد فيها بدقة ونشاط .

ـ هل اتيح لكم ان تطلعوا على الاحوال الزراعية في تونس ؟

حقا ، ان المشاهد يدهش لمنظر الزيتون الكثير الممتد في سهول تونس والبالغ ، على ما قيل لنا ، ٥٠ مليون شجرة من الزيتون . وهذا ما يجعل من تونس البلد الثالث في العالم لجهة انتاج الزيت والزيتون . ثم ان هناك مشروع السنوات الاربع ويأمل التونسيون فيه ان توزع اكثر الاراضي البور على السكان لغرسها وزرعها .

ـ لتونس تاريخ عريق ، ومناخ جميل ، فما هي اوضاع المرفق السياحي فيها ؟

ـ لم اكن اتوقع ان ارى هذا العدد الفخم من السياح الاجانب في جميع المدن التونسية ، خاصة وان زيارتنا كانت في فصل الشتاء . ولقد ادهشني العدد الفخم والانيق من الفنادق الكبيرة مما يدل على ان صناعة الفنادق معتنى بها في تونس بصورة جدية .

اما الاثار ، فحدث عنها ولا حرج ، ذلك انها تفوق الاثارة اللبنانية بكثرتها وضخامتها وغناها ، ولا عجب في هذا ، وقد عاشت تونس اربع حقبات من التاريخ ، ابتداء من الفينيقية حتى عصرنا الحالي ومرورا بالرومانية والعربية .

لقد اتيح لنا ان نزور هذه الاثار كلها والمتاحف التي تضم اكبر مجموعة من الموزاييك الاثري معروفة في العالم .

وانتقلنا الى الحديث عن المهرجان وابحاثه فقال :

لقد كان عدد الابحاث في هذا المهرجان كبير جدا واشترك فيه نحو ١٥ ضيفا وعدد يفوقهم من الادباء التونسيين والقى كل خطيب بحثا مفصلا في ناحية من نواحي الشابي ولم يكن هناك متسع من الوقت لمناقشة هذه الابحاث لكنها ستنشر جميعها في كتاب قائم بنفسه ، والحقيقة انها مناسبة مفيدة جدا اولا لكثرة هذه الدراسات حول شاعر

معاصر يعتبر من كبار شعرائنا وثانيا لانها اتاحت لعدد كبير من ادباء العرب ان يتعارفوا ويتبادلوا الافكار والاراء حول الادب العربي والشؤون العربية والثقافية مما يزيد في عرى التآلف ويشد القلوب بعضها الى بعض .

ومن اطرف الاجتماعات التي اقيمت ، اجتماع عند القائم بالاعمال العراقي الاستاذ الشاعر هلال ناجي وقد تكرم فيه الاخوان فانتدبوني لادارة هذا الاجتماع وكان البحث يدور فيه حول الفائدة من مثل هذه اللقاءات ، فكانت الاراء مجتمعة على وجوب تكرار مثل هذه الاجتماعات وخلق المناسبات لها في مختلف الاقطار العربية للتعرف الى بعضنا البعض ولنشر الفكر العربي في مختلف اقطارنا .

ـ هل اتيح لكم ان تزوروا فخامة الرئيس بورقيبة ؟

لقد تكرم فخامته فاستقبلنا في قصر قرطاجه مدة طويلة من الزمن خرجت عن حدود الوقت الذي يسمح به البروتوكول فكان يتحدث بزلاقة لسان وقوة ايمان عن جهاد التونسيين في سبيل استقلالهم ومكافحتهم الاستعمار الفرنسي وعن صمودهم في المعركة التي لا يزال يعتبرها قائمة حتى اليوم وعن ان تونس لن تتخلى عن القيام بدورها العربي الفعال واشار الى ان ما يحدث من خلافات في الرأي بين الحكام العرب ليس الا غيوما زائلة باذن الله من سماء البلاد العربية . مما شجعني وشجع بعض اخواني الحاضرين من الادباء ، على شكر فخامته وعلى تمني ادباء العرب ان يكمل كفاحه الى جانب اخوانه رؤساء العرب لازالة هذه الغيوم من سماء البلدان العربية .

جريدة ((الصفاء)) ـ بيروت **جوزف نحاس**

●

تحية اكبار الى مجلة ((الاديب)) في يوبيلها الفضي

كنا ننتظر ان يتنادى الادباء ، والمهتمون بشؤون الثقافة وقضايا الفكر في قطرنا العربي السوري الى المشاركة بتحية مجلة ((الاديب)) اللبنانية بمناسبة يوبيلها الفضي .

ان المشاركة في هذا اليوبيل انما هو اعلان عن التجاوب المعنوي والتعاطف حيال منشىء ((الاديب)) الاستاذ الشاعر البير اديب. والمشاركة أيضا تعني الكشف عن ادراكنا الحقيقي لاهمية رجالنا الابرار الذين نعلق عليهم امالا كبارا باعتبارهم رجالا مفكرين ضحوا بكل ما يملكون ليجعلوا من حياتنا الادبية الفكرية حقيقة واقعة جميلة ، واشراقا أفضل يدفع بآمالنا الى ان تحقق انتصاراتها الرائعة في مضمار الادب والفكر.

لقد تعود الناس على تضفير أكاليل الغار لرجال السياسة والحروب، ولكنهم ما تعودوا تضفير الاكاليل لرجال القلم والفكر . ان الناس كثيرا ما يتجاهلون النضال الادبي ونشاطات رجال الفكر وكفاح رواد الثقافة ، كأن هذه الاحداث الثقافية ليست تكملة ضرورية للنهضة ، وكأنها بمعزل عن تطورنا الحضاري الجديد .

ان قيمة مجلة ((الاديب)) تأتي من كونها مدرسة ادبية فكرية ، ساهمت مساهمة عظمى في انضاج وعي جيلنا العربي الشامل العميق ، وفي الاستجابة لروح العصر ومطالبه الفكرية والتحررية . وبذلك عملت على خلق جيل عربي جديد ، جيل تتحقق في مناخه نواحي التفكير السديد ، ومجالات التقدم الذي تمليه شروط الحياة الفكرية العصرية .

ويكفيها فخرا انها لم تتاجر بالمجالات الفكرية ، ولم تجعل من نفسها مجلة كرنفالية ولم تنمسخ يوما الى طبول دعاية وابواق لهذه الفئة او تلك . انها مجلة لا تسمعك أصوات الجنس المبتذل ولا أصداء التباغض والاحقاد ، لكنها تسمعك كلمة العقل ، ومنطق الحكمة . وسبب ذلك انها لسان الحقيقة والجمال والعدالة . هذه القيم الابدية الباقية منذ فجر الانسانية حتى أبديتها . هذه القيم التي ينشرها الاستاذ ((البير اديب)) المتصوف الكبير في صومعة الفكر والحقيقة !!

لقد ساقني الى كتابة هذا ، ذلك الطوفان من القصاصات التي تجرؤ ، وتدعي بأنها مجلات ... وهي في حقيقتها قصاصات ورق هزيلة ، نعرف كلنا من يغذيها ماديا ومن يدعمها معنويا ...

ان صاحب ((الاديب)) قد أدى لدنيا العرب من الخدمات الفكرية ما كادت تقصر عنه السفارات العربية والمؤسسات الثقافية خارج الوطن العربي الكبير ، باعتبار ان ((الاديب)) هي المنبر العربي الوحيد وهي المعبرة بصراحة ووضوح عن كافة التيارات الادبية الفكرية التي تصطرع في دنيا العرب . ولهذا السبب أصبحت مجلة ((الاديب)) هي المشهود لها في كافة الاوساط الادبية والفكرية في جامعات اوروبا ، وامريكا ، وفي مؤسساتها الثقافية ، مشهود لها بانها المرجع الوحيد للحركة الادبية العربية المعاصرة .. ومشهود لها ايضا بأنها المجلة العربية الوحيدة التي فتحت ابوابها المضيئة لتيار الشعر المنثور ، والقصيدة النثرية ، والشعر الذي يعتمد على التفعيلة !!

ولولا قصائد الاستاذ الكبير ((البير اديب)) ، ولولا مجلة ((الاديب)) لما كان في الحركة الادبية العربية المعاصرة شيء اسمه ((شعر منثور))..

وختاما ، كان بودي لو أسهم مساهمة مادية في يوبيل ((الاديب)) الفضي . وبما انني لا املك سوى قلبي الطفل ، لذلك اكتفيت بارسال هذه الكلمة ، مشفوعة بدمعة ، وابتسامة ... دمعة على افلاسي ، وابتسامة تخفق علم محبة واكبار للاستاذ ((البير اديب)) الذي يضحي بجهوده وأتعابه بشان اخراج مجلته ، هذه المجلة التي أصبحت له قيثارة الشاعر يعزف عليها افراحه واحزانه معا .

جريدة ((البعث)) ـ دمشق **سليمان عواد**

●

الفقيد ابراهيم معوض امين دار الكتب اللبنانية

الكلمة التي القاها الاستاذ محمد يوسف حمود على قبر الفقيد عند دفنه

يا شهيد الكتاب في بلد الكتاب ! انهم يعجبون كيف انفجر شريان قلبك ، وانت في شرخ الرجولة ! اما نحن زملاءك ، فاننا لا نعجب كيف انفجر شريان قلبك امس ، بل نعجب كيف لم ينفجر من زمان.. اننا لنعجب كيف لا تنفجر شرايين قلوب الذين يخدمون الكتاب في لبنان ، بل يخدمون الدولة باخلاصك وتفانيك !

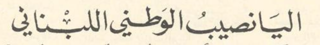
اجل انه شهيد الكتاب في بلد الكتاب ! منذ اثنين واربعين عاما ، تطوع بل تجند لخدمة الكتاب ، يعطيه من قلبه محبته بل دمه ، ويأخذ منه لقلبه الغبار وجراثيم الحشرات ، ويعطيه حياته كلها ليلا ونهارا مقابل ذياك الراتب الضئيل ، مضحيا متفانيا مستشهدا ، حتى سقط امس شهيدا باسلا رفض الاستقالة ، ورفض طلب صرفه من الخدمة ، شأن من يمارس حبه بهيام لا يتراجع عنه ولا يستسلم حتى آخر رمق فيه!

نعم ، وقسما لقد بقي ابراهيم معوض في المعركة حتى آخر رمق . وامس ، امس بدون مبالغة ، كان يلهث وراء تحقيق مشروع له اذا تحقق يزرع لبنان مكتبات ، في المدن والقرى والارياف ، ويوزع خبز المعرفة زادا للحياة على اللبنانيين في مدنهم وقراهم وارياقهم ، في لبنانهم الجائع الى المكتبات وهو الكبير الكبير بكونه بلد الكتاب والذي كان يملأ الدنيا بحروفه مكتبات !

وان خير ترضية لابراهيم معوض في قبره تحفظ ذكراه ، تكون بتبني مشروعه ، وبتحقيق مطالبه ، لا بوسام استحقاق ، هو اكبر منه حجما واعظم منه قيمة ، كان قد استحقه منذ عشرات السنين ... فهلا تبنت الدولة مشروع ابراهيم معوض هذا لتطمئن نفسه ونفس سدنة الكتاب والحرف والمعرفة ، في بلد الكتاب والحرف والمعرفة !

اما نحن زملاءه ، فاننا اولى بتقبل التعازي فيه ، لاننا نحن ايضا اشقاؤه وابناؤه واهله وجيرانه ولبنانه، ولقد كان منا ومعنا ولنا كبيرنا ومعلمنا ورائدنا بمحبته الغامرة وسيرته القدوة .. فباسم دار الكتب الوطنية ، نشكركم جميعا ، ونشكر الدولة التي منحته الوسام بيد ممثل رئيس الدولة حضرة المحافظ . اما انت يا حبيبنا ، فوداعا ... وداعا يا خادم الكلمة وحامل القلم ، يرحمك الذي في البدء كان الكلمة والذي علم الانسان بالقلم .. والسلام عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيا .

محمد يوسف حمود

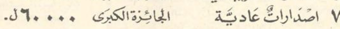


اليانصيب الوطني اللبناني

مؤسسة حكومية مرصد ريعها لأعمال الاسعاف الاجتماعي

تعديلات هامة في جوائز اصداراتها

٢٠ اصدارا شعبيا	الجائزة الكبرى	٢٥٠٠٠ ل.
١٨ اصدارا شعبيا خاصا	الجائزة الكبرى	٤٠٠٠٠ ل.
٤ اصدارات سوبيستيك	الجائزة الكبرى	٥٠٠٠٠ ل.
٧ اصدارات عادية	الجائزة الكبرى	٦٠٠٠٠ ل.





تدفع الجوائز في المديرية
معفاة من كافة الرسوم والضرائب